

سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وقفية الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني للمعلومات والدراسات - قطر

العدد : ١٢٤ ربيع الأول ١٤٢٩هـ السنة الثامنة والعشرون

انتشار الإسلام في كوسوفا

سامر بايروش أحمدي

سامر بايروش أحمدي

* من مواليد (بريشتينا)، عاصمة كوسوفا (١٩٧٦م).

* تلقى تعليمه الابتدائي في (بريشتينا).

* حصل على درجة البكالوريوس في الشريعة من جامعة (جرش) الأهلية في الأردن (٢٠٠٢م).

* يحمل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، من جامعة أم درمان الإسلامية، في السودان (٢٠٠٦م).

* يتحدث عدداً من اللغات من بينها: العربية، البوسنية، التركية، الإنجليزية، إضافة إلى الألبانية (اللغة الأم).

* له مقـــالات منشـــورة في مجلة العالــــم الإســــلامي (Dituria Islame) التي تصدر عن المشيخة الإســــلامية في (كوسوفا).

انتشار الإسلام

في كوسوفا

سامر بايروش أحمدي

الطبعة الأولى
ربيع الأول ١٤٢٩هـ
آذار (مارس) – نيسان (إبريل) ٢٠٠٨م

سامر بايروش أحمدي
انتشار الإسلام.. في كوسوفا
الدوحة: وقفية الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني للمعلومات والدراسات، ٢٠٠٨م.
١٨٤ص، ٢٠سم - (كتاب الأمة، ١٢٤)
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ١٠٩ لسنة ٢٠٠٨
الرقم الدولي (ردمك): ٩-٩١-٨٠-٩٩٩٢١
أ. العنوان ب. السلسلة

موقعنا على الإنترنت: www.Islam.gov.qa
البريد الإلكتروني: E. Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

يقول تعالى:

﴿... يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا...﴾

(الأعراف: ١٥٨)

تقديم

عمر عبيد حسنه

الحمـــد لله، الذي جعـــل الناس جميعاً ينحدرون من أصل واحد، فقـــال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ (النساء:١)، وقـــال تعـــالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ..﴾ (الحجرات:١٣)، ذلك أن الإيـــمان بأن أصـــل الخـــلق واحـــد يعـــني – فيما يعني– الأخوة الإنسانية والمساواة الطبيعية، ويـــشير إلى القواســـم المشتركة بين بني البشر، كما ينص على إمكانية التفاهم والتعارف بـــين الخلق جميعاً؛ وتحول هذه العقيدة دون كل أنـــواع التمييـــز والعنـــصرية والصراع والمواجهة، وتتيح المجال لتكافؤ الفرص والتنـــافس والتـــسابق والعطاء والارتقاء والتفوق.

ولعل من أهم المرتكزات لهذه العقيدة – عقيـــدة وحـــدة الأصـــل البشري – أو هذه الرؤية والفلسفة للحياة في الإسلام أن الجميع مؤهلون لتلقي الرسالة الإلهية، وأن الوحي الإلهي خطاب للنـــاس جميعـــاً، بكـــل أجناسهم وألوانهم وعناصرهم، وحتى أديانـــهم، وأنه ليس حـــكراً على قوم أو جنس أو لون، يعلو به أو يفاخر أو يتميز، وأن مجتمع المؤمنين بهذه

العقيدة مجتمع إنساني مفتوح لاستقبال القادمين والمقبلين باستمرار، وأن الأكثر عطاءً واستقامة على المنهج هو الأكرم عند الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣)، فميزان الكرامة في عقيدة الإسلام قائم على الكسب والاختيار، فهو كسبي متاح لكل إنسان وليس قسرياً تمييزياً عنصرياً، ذلك أن الإكراه والقسر والإقصاء والتمييز العنصري وادعاء الاصطفاء والنقاء والعرق المختار والشعب المختار هو سبب بلاء الإنسانية وويلاتها وحروبها وأحقادها التي لا تنتهي.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي حدد الله أبعاد رسالته ومهمته، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف:١٥٨)، ويقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ:٢٨)، وجعل مهمته إبلاغ رسالة الله للإنسان، دون قسر أو إكراه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ﴾ (آل عمران:٢٠)، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ (العنكبوت:١٨)، وأكثر من ذلك وأشد وضوحاً حيث لم يكلف الرسول بمحاسبة الكفار: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾ (الأنعام:٥٢)، أو إكراه المعاندين، وبيّن أن مهمته تتمحور حول الإقناع، يقول تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق:٤٥)، بل اعتبر القرآن أمة

الرسالة، من لدن آدم، عليه السلام، إلى محمد، عليه الصلاة والسلام، صاحب الرسالة الخاتمة، أمة واحدة، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢)، وأن الأنبياء على تاريخ الإنسانية أبناء أسرة واحدة: « **الأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلاتٍ** » (أخرجه مسلم)، وأنهم مشتركون في العمل على الترقي بالبشر وتحريرهم وإقامة البناء الإنساني الواحد المتكامل: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**» (أخرجه البخاري).

فهذه الأخوة الإنسانية، وأخوة النبوة، ووحدة الإله، ووحدة الخطاب، ورعاية كرامة الإنسان واحترام اختياره بعدم الإكراه، وجعل ميدان التنافس والترقي كسباً، وعدم جعل العقيدة حكراً على قوم أو جنس أو لون أو طبقة أو نسب هو الذي كان ولا يزال يمنح الإسلام القدرة على الامتداد والكسب، ويجعل من عطائه الحضاري عطاءً إنسانياً تشارك فيه جميع الشعوب والأجناس والألوان.

وبعد:

فهذا «**كتاب الأمة**» الرابع والعشرون بعد المائة: «**انتشار الإسلام.. في كوسوفا**»، للأستاذ سامر بايروش أحمدي، في سلسلة «**كتاب الأمة**»، التي تصدرها وقفية الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني، رحمه الله، للدراسات

والمعلومات (مركز البحوث والدراسات سابقاً) في دولة قطر، في سعيها الدائب لبناء الوعي، وكشف مواطن الخلل، الذي يعيق مسيرة الأمة، ويقعدها عن أداء رسالتها في الشهادة على الناس وإلحاق الرحمة بهم، تحقيقاً للغاية التي من أجلها كانت الرسالة الخاتمة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وإعادة بناء الموالاة للقيم الإسلامية، التي تكاد تصبح غائبة بالأقدار المطلوبة، وتفكيك الموالاة للأشخاص وبيان أخطارها، واسترداد وحدة الأمة الوسط، ومعاودة إخراجها، وإشعارها بمسؤوليتها الإنسانية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعادة تأهيلها للشهادة على الناس وإبلاغ قيم الإسلام، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ (البقرة:١٤٣).

ذلك أن الشهادة على الناس والتزام ميزان الاعتدال للوقوف في وجه الهيمنة والتسلط والغلو والتطرف، وتجسيد المنهج الوسط يحتاج إلى تأهيل وإعادة بناء الذات، وفي مقدمة ذلك التأهيل: الاستقامة على منهج الكتاب والسنة وتصويب الاقتداء لنصبح مؤهلين ونرتقي إلى مستوى شهادة الرسول ﷺ علينا ولنا، الأمر الذي يجعلنا بعد ذلك مؤهلين أيضاً للشهادة على الناس وقيادتهم إلى الخير، يقول تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ (الحج:٧٨).

إن إعادة بناء الذات، واسترداد الفاعلية- وذلك بتصويب منهج الاقتداء، والارتقاء إلى مستوى أن يكون الرسول علينا شهيداً- هو الذي يؤهلنا للشهادة على الناس (الآخر غير المسلم)، ويعيد بناء الأمة التي تمتلك معايير التوازن والاعتدال، فتحول بذلك دون الفتنة في الأرض وممارسات الإكراه والتسلط والاستعباد؛ ذلك أن غياب الأمة الوسط عن أداء رسالتها وقعودها عن أداء دورها، وحصول الخلل في ولائها وموالاتها يفسح المجال لامتداد الفتنة والفساد، بكل تجلياتهما في الحياة الإنسانية، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ (الأنفال:٧٣)، فعدم الفعل والفاعلية والموالاة وعدم قيام الأمة برسالتها هو الذي يتيح المجال لانتشار الفتن والفساد بكل أشكالهما.

وقد يكون من مكرور القول أن نعاود الإشارة إلى أن خطاب الإسلام خطاب عالمي، ورسالته إنسانية، لذلك كانت المسؤولية عن نشره وإبلاغه عالمية أيضاً، وكانت آفاق الشهادة المطلوبة تعم الناس جميعاً، حيثما كانوا، فمسؤولية المسلم إنما تتحدد بحماية إنسانية الإنسان، ورفع الظلم والفساد والإكراه والهيمنة عنه، وتحقيق حرية الاختيار: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة:٢٥٦)، ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ (البقرة:١٩٣).

وبالإمكان القول هنا، وإلى حد بعيد: إن رسالة الأنبياء السابقين، لسبب التطور والتأهيل الإنساني، كان خطابها قومياً -إن صح التعبير- وجغرافياً ووقتياً أيضاً، يقول تعالى في بيان ذلك: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ﴾(المائدة: ٢٠)،﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ﴾ (هود: ٨٤)، ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾ (طه: ٨٠)... إلخ، وإن رسالة النبوة الخاتمة، التي انتهت إليها أصول الرسالات السماوية جميعاً، جاءت عالمية إنسانية، خالدة على الزمن، وهذا إضافة إلى أن رسالة النبوة وتعاليم الأديان وقيم السماء قامت على التكامل ومتابعة بناء حضارة النبوة حتى وصلت بالرسالة الخاتمة درجة الاكتمال والكمال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ (المائدة:٣).

وكلمة ﴿ دِينَكُمْ ﴾ هي خطاب للجنس البشري، الذي اتبع الأنبياء، الممتد من نبوة آدم، عليه السلام، إلى النبوة الخاتمة حيث الكمال والاكتمال وتوقف الوحي.

لذلك نقول: بأن الوحدة والتكامل والشراكة في استنقاذ وهداية الجنس البشري كانت مهمة الأنبياء جميعاً، وأن الإيمان بالنبوة التاريخية ركن أساس في إيمان المؤمن بالنبوة الخاتمة، لا يستقيم إيمانه ولا إسلامه ما لم يؤمن بها، فالأمر قائم على التكامل والوحدة والإيمان، لكن الإشكالية دائماً في انغلاق أهل الأديان وتعصبهم.

إن النـــزعات القومية والطائفية والعنصرية كانت ولا تزال ملازمـــة للبشر، وإنها تضيق وتتسع بحسب الظروف والأحوال لكنها لم تنقطـــع، وتتأرجح بين الارتفاع إلى مستوى الأخوة الإنسانية واستحقاقات قـــيم النبوة من التحرر والانعتاق، وتنحدر إلى الارتكاس إلى حمـــأة التعـــصب والنـــزوع العنصري والقومي، الذي يذكي الروح العدوانية والعنـــصرية ويؤدي إلى الصراعات والفتن والفساد.

إن الارتقـــاء إلى المستـــوى الإنساني، والتخلص من أسر روابـــط الأرض والعرق والجنس واللون والقوم ليس بالأمر السهل، بل يحتاج إلى نبوة أولي العزم.

ولعلنا نقول: بأن مهمة الرسالة الإسلامية كان الارتقاء بالإنسان إلى مستوى رابطة الفكرة والعقيدة والاجتماع على قيم الحق والخـــير، الـــتي تشكل النَسب الاجتماعي والثقافي للإنسان، وتميزه عن حظائر الحيـــوان، وتبنى الشخصية الاستقلالية، وتخلصه من روح القطيع، وترتقي بـــه إلى مستوى الاختيار والتمييز بين الخير والشر.

وفي اعتقادي أن سر خلود الرسالة الإسلامية واستقرارها وامتدادها واستمرارها وانتشارها أنها رسالة الفطرة، فكأن بينها وبـــين الإنـــسان السوي تواعداً والتقاءً، إضافة إلى أنها -كما أسلفنا - خطاب الله للإنسان دون حواجز، وحيثـــما كان، وليس حـــكراً على قوم أو لون أو عنصر

أو زمان أو مكان، وأن مجتمعها مفتوح، وأنها أول من دعا إلى المواطن العالمي في أمة الإسلام، وأول من جعل ميزان الكرامة منوطاً بكسب الإنسان وفعله، وأن خطابها اختياري، بعيد عن القسر والإكراه، وأن الإقبال عليها من الشعوب والأمم والأقوام والقبائل جاء بالاختيار، وبذلك نبع الإسلام وتشكل من طينة البلاد ونسيجها الاجتماعي واختيارها نفسها، ولم يتحقق قسراً؛ ذلك أن العقيدة هي بطبيعتها ثمرة للاختيار، وأن الإكراه والإجبار لا يصنع قناعة وإنما يمثل حالة مؤقتة لا تلبث أن تزول لحظة زوال المُكرِه، والشواهد أكثر من أن تحصى على سقوط الإمبراطوريات، التي سادت ثم بادت، وعادت الشعوب والأمم التي استعبدتها واستعمرتها وسلبتها ثقافتها وعقيدتها إلى قناعاتها بعد عدة أجيال تربت خلالها على القهر والتسلط.

ولعلنا نقول هنا: إن سر بقاء الإسلام واستقراره واستمراره في البلاد التي وصل إليها أن أهل البلاد آمنوا به عن طواعية واختيار، ولم يشكل عنصراً غريباً أجنبياً غازياً مفروضاً على أهل البلاد يتحينون الفرص للانقضاض عليه للخلاص منه.. بل على عكس ذلك آمنوا به، ودافعوا عنه، وقدموا في سبيل حمايته التضحيات الكثيرة، واحتفظوا به في قلوبهم، خلال فترات طويلة من التسلط والقهر والتنصير والتهجير، وما لبثوا أن عادوا للانتماء له والالتزام بقيمه.

ويكفي أن نشير إلى أن أكثر من أربعة أخماس المسلمين في العالم اليوم وصلهم الإسلام عن طريق الدعوة، بل أكثر من ذلك حيث انتشر الإسلام من خلال النماذج المثيرة للاقتداء؛ فالمسلمون بسلوكهم وأخلاقهم وتعاملهم حين مرّوا ببلاد العالم، تجارة وسياحة ودعوة، كانوا نماذج أثارت الاقتداء، وكانوا سبباً في دخول الناس في الإسلام من خلال تلك النماذج الجديدة المختلفة عما هو موجود وقائم، واستمر الإسلام عقيدة وسلوكاً عند شعوب الأرض جميعاً، بما فيها بلاد البلقان.

وقد يكون التجار والسياح والدعاة، الذين حملوا رسالة الإسلام، من غير العلماء والفقهاء، وإنما من أهل الخُلُق المتميز والسلوك الإنساني الرفيع والمؤثر، ولذلك فقد يكون عند الكثير من الشعوب التي أسلمت بعض العادات والمخالفات الشرعية التي تحتاج إلى تصويب وتنقية، لكن ذلك لم يمنع من إيمانهم بالإسلام وانتسابهم لأمته: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾ (الأنعام:١٣٢).

فالإسلام - كما أسلفنا- بطبيعة رسالته وخطابه عالمي وليس حكراً على قوم أو لون أو جغرافيا، فلا أحد أحق به من أحد، لذلك نجد العطاء الحضاري، تاريخياً، جاء إنسانياً، شاركت فيه جميع الأقوام والأجناس والألوان والأزمان، فكان نسيجاً إنسانياً عالمياً؛ وقد تداول القيام على أمر المسلمين أجناس وأقوام كثر، فمن أسلم وحسن إسلامه يصبح مؤهلاً يتجاوز حتى من سبقه وتقدمه بالإسلام.

فالتاريخ السياسي لمسيرة الأمة المسلمة يؤكد أنه في مرحلة الخلافة الراشدة وما بعدها، نوعاً ما، تم تداول السلطة على قاعدة الشورى في اختيار الحاكم، والشورى في إدارة شؤون الحكم بين القبائل عند النشأة الأولى، ومن ثم توالى عليها العرب والترك والمغول والسلاجقة والأكراد والشراكسة والفرس... إلخ.

هذا عدا عن أن الوصول إلى المناصب الكبيرة والمؤثرة في الدولة المسلمة تحقق من جميع العروق والأجناس.

ولعلنا نقول: إن هذه الرؤية المبكرة للأمة العالمية وما ترتب عليها من تداول السلطة بين العروق والأجناس والألوان، واعتماد معايير الشورى في الاختيار بدأ قبل أربعة عشر قرناً، عندما كان الناس يعيشون الحكم التسلطي والقبلي والأسري، الحكم المقدس، حيث الحكم وقفٌ على أمراء وقبائل لا تجوز معارضتهم أو مناصحتهم أو الخروج عليهم؛ لأن في ذلك عصياناً لله سبحانه وتعالى، فهم المتحدثون باسم الله تعالى(!)

وهنا حقيقة قد يكون من المفيد التوقف عندها، ولو بقدر، وهي أن الأمم أبقى من الدول، فالدول دائلة زائلة بطبيعتها؛ والعقائد أقوى من الفلسفات، والمبادئ أقوى من السياسات والحكومات، والقرآن أقوى من السلطان، وأنه على الرغم من إصابة الدولة في تاريخ الإسلام وأن عروة الحكم الشوري أول ما انتقض لكن بقيت المشروعية العليا في

تاريخ دول المسلمين للإسلام، فإن الأمة بقيت خالدة وممتدة، وبقي ولاؤها وانتماؤها للكتاب والسنة.

فالدولة في الرؤية الإسلامية والفقه السياسي هي القيام بأمر الدين وإدارة شأن الدنيا وفق منهج الله، وأنها في المحصلة النهائية وسيلة وليست غاية، وسيلة لتنظيم أمر الدين وامتلاك قدرة أكبر لإبلاغه والدفاع عن قيمه ورد العدوان عنه؛ هي وسيلة للدعوة، وعلى ذلك فلا يجوز أن تنقلب غاية بحد ذاتها، بحيث يصبح أمر الحفاظ والإبقاء عليها والبقاء فيها والحصول عليها هدفاً قائماً بذاته، حتى ولو توقفت عن أداء رسالتها.

وقد تكون الإشكالية الكبيرة ومعظم المضاعفات التاريخية والفتن الكبرى بالنسبة للأحزاب والجماعات والتنظيمات والفرق والمذاهب، غلبة فلسفة وثقافة الوصول إلى الحكم وإقامة الدولة على فكرها وأنشطتها، سواء كان ذلك عن قصد أو غير قصد، في أحيان كثيرة، على حساب الدعوة، ودقة الانضباط بالقيم الإسلامية؛ وقد تُسيّس الدعوة وتستغل شعائر وشعارات الدين للوصول إلى الدولة، بمعنى أن تصبح المعادلة: دعوة الدولة لا دولة الدعوة.

لذلك ففي كثير من الحالات قد يكون الانحياز للمجتمع، للأمة، والفعل فيها، والتوسع في دوائر الخير، والتحرك ضمن فضاءات كبيرة بعيداً عن الانفصال عن جسم المجتمعات لتشكيل جماعات أو طائفيات

أو منظمات مغلقة، تحت شعارات مفاصلة المجتمع وتجنب انحرافاته لبناء الأنموذج المثير للاقتداء - والمجتمعات هي محل الدعوة- هو الأصوب.. وهنا يتطلب الأمر فطنة عالية، وموازنة مبصرة بين المصالح والمفاسد، وحسابات دقيقة، ودراسات موضوعية، بعيداً عن العاطفة والتحيز وإخلاص النيه لله سبحانه وتعالى، فقد يكون الانفصال عن جسم الأمة، بكل مكوناتها وأديانها وطوائفها، وتشكيل جسم غريب يؤدي إلى إثارة العداوات والأحقاد، ويحاصر حركة الدعوة، فيصبح أهلها من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ونشر الإسلام في مناخ من السلم والأمن هو الأولى والأجدى خاصة إذا كانت الدولة العتيدة مستهدفة وسوف تستنزف كل طاقتها وتعيش حالة المدافعة عن نفسها، وبذلك تقعد عن أداء رسالتها، وتعجز عن أن تشكل أنموذجاً يثير الاقتداء، وتصبح جزيرة معزولة في محيطها الكبير تسهل محاصرتها وشل حركتها وتعطيل قدراتها، وتأخذ شكلاً عنصرياً أو تعطي شكلاً عنصرياً، وقد تكون إقامتها ثمرة لحسابات دولية وإقليمية ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب، هدفها البعيد محاصرة الإسلام والحيلولة دون امتداده.

لا شك أن الدولة جزء من الإسلام، وأن السعي لإقامة دولة تؤدي رسالتها وتقوم بوظيفتها من تحقيق كسب أكبر للدعوة الإسلامية، وحماية لأبنائها أمر شرعي ومطلب إسلامي، وعلى الأخص إذا تعرض المسلمون لتطهير عرقي وممارسات عنصرية ممن حولهم، بحيث تغلب هنا قاعدة:

«درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، شأن حال المسلمين الألبان في البوسنة وإقليم «كوسوفا»، حيث تعرضوا لأسوأ أنواع التصفية الجسدية والتطهير العرقي والإبادة الجماعية والاغتصاب الشنيع والتعصب، الذي يستصحب عصور الظلام ويوقظ الروح الصليبية الحاقدة، التي تكاد تكون جزءاً من المكون الذهني الممتد تاريخياً، ولعلنا نقول: إن مجزرة واحدة مما وقع للمسلمين وما أوقع فيهم... يمكن أن تتجاوز مساحة مآسيها وضحاياها ما وقع من سلبيات في التاريخ الإسلامي جميعه، ومع ذلك فالمسلمون إرهابيون ومتطرفون (!)

والمحزن حقاً أن التاريخ القديم والمعاصر يحمل لنا دلالات ونتائج مخيبة للآمال لقيام بعض الدول باسم الإسلام، ومن ثم كيف تحولت إلى دول بوليسية يسودها الاستبداد السياسي والاضطراب الاجتماعي والفتن المذهبية والتخلف وإعطاء أنموذج سيء عن مفهوم الدولة وأدائها ووظيفتها في الإسلام، بل لعلنا نقول: إن قيام بعض الدول باسم الإسلام وانفصالها باسم الدين حمل الكثير من السلبيات والعداوات والأخطار لها وللأقليات المسلمة، التي بقيت معزولة في مجتمعات ما قبل الانفصال، تعاني من الاغتراب والحصار والحيلولة دون الاندماج.

وقد لا يكون المجال مواتياً لمثل هذا الكلام، أو وجهة النظر، بعد المعاناة الشديدة، التي عاشها المسلمون في بلاد البلقان، وخاصة «كوسوفا»، ونحن لا ندعي بأن الدولة في الإسلام بشكل عام أو الدولة العثمانية بالذات دولة ثيوقراطية دينية مقدسة ومعصومة عن الخطأ وأنها

حكم الملائكة على الأرض، وإنما هي دولة مدنية، يحكمها بشر يُختارون، يخطئون ويصيبون، لكن الدولة المسلمة على التاريخ، وخاصة الخلافة العثمانية، وبالرغم من كل الإصابات بقيت مشروعيتها الكبرى قيم الإسلام.. وعلى الرغم مما يؤخذ عليها، فإذا ما قيست بممارسات الدول الإقليمية والقومية والعنصرية، التي قامت بعد الانقضاض عليها حيث الناس يعانون من الجوع والخوف بكل مكوناهما تصدق فيها مقولة: «سيئات المقربين حسنات الأبرار».

وفي تقديرنا أن الكثير مما يقال عن الدولة العثمانية، التي كانت وراء انتشار الإسلام في أوربا والتي كانت وعاءً للأجناس والألوان والأعراق، لا يخرج عن التحيز لها أو عليها، التحيز ضدها، بدوافع الحقد والعداوة وروح الثأر، الأمر الذي لا يدع أدنى مجال للموضوعية، أو التحيز لها بعاطفة وحماس ديني يؤدي إلى تجاوز الأخطاء وعدم امتلاك القدرة عن الإفادة منها.

فالدولة العثمانية، كسائر الدول التي تعاقبت على حكم الأمة المسلمة عبر التاريخ، لم تكن دولة مقدسة معصومة عن الخطأ، دولة ملائكة، كما يحلو لبعض المسلمين أن ينعتها، كما أنها لم تكن في المقابل دولة شر، دولة شياطين مبرمجين على الشر، كما يحلو لبعض الحاقدين أن يصفها ويبخسها حقها، إنما هي دولة بشر يجري عليهم الخطأ والصواب.

والحقيقة التي ما تزال غائبة بالأقدار المطلوبة: أننا ولو وصلنا في دراساتنا وأحكامنا إلى امتلاك أدوات الإنصاف ومعايير التقويم السليمة

والموضوعية، التي تمكننا أن نعرف وننكر، لتحوّل التـاريخ الإسـلامي والتاريخ العام إلى معلّمٍ يمنحنا الكثير من الرؤية الموضوعية والبصيرة النافذة لحسن التعامل مع قضايانا.

وبعد:

فهذا الكتاب في أصله رسالة علمية، نـال الباحـث بهـا درجـة الماجستير، ولا شك أن هذا الجهد العلمي الموثّق يشكل نافذة أمينة تمكّن من الإطلالة على انتشار الإسلام في دول البلقان بشكل عام، وفي إقلـيم «كوسوفا» بشكل خاص، ويبين الظروف التي رافقت هـذا الانتـشار والمعاناة التاريخية الشديدة التي عاشها المسلمون الألبان والتي دفعت بهـم للخروج هروباً بدينهم حيث استوطن الكثير منـهم في بـلاد الـشام، واندمجوا بأهلها، وتزاوجوا معهم، وتعلموا في مدارسـهم وجامعـاتهم، وتمتعوا بثمرة الأخوة في الدين حتى أحب لهم الناس ما يحبون لأنفسـهم، بعيداً عن أي تمييز وحس بالاغتراب.

لقد وجد الألبان أنفسهم وتوفر كرامتـهم واسـترداد إنـسانيتهم بالإسلام، وحصلوا في رحاب الدولة العثمانية على الفـرص المكافئـة، وتمتعوا بحقوق الأخوة، فالدولة العثمـانية لم تـكن دولة محتلة، حيـث تبوأ فيها حوالي اثنين وأربعـين ألبانياً منصب الصدر الأعظـم (رئـيس وزراء)، وتمتعوا بالمواطنة الكاملة.

وتأتي أهمية هذا الكتاب من أنه يبرز تاريخ هذه الحاضرة من حواضر العالم الإسلامي، أو عالم المسلمين، التي تكاد تكون غائبة عن ثقافة الجيل

اليوم، بكل ما تحمل من دلالات، وتبرز من صور، وتعرّف مسلم اليوم، حيثما كان، بالتاريخ والواقع، لعل ذلك يبصره بالأخطار وبالطريق وبالوسيلة الأجدى لحمل خير الإسلام للبشرية ورحمته للناس.

ويبقى التاريخ هو مختبر الفعل البشري، ودليل فاعلية السنن الاجتماعية، وإنضاج الحوادث وتأكيد العواقب وتحقيق الدروس والعبر لحاضر المسلم ومستقبله.

وكنا نود أن يتسع زمن الرسالة بحيث يتجاوز المؤلف مرحلة البحث في الجذور والأصول وعوامل التشكل، التي مكنت للإسلام من الاستقرار والاستمرار والانتشار في بلاد البلقان، إلى شيء من قراءة واقع الحال، بحيث يبحث في عوامل وأسباب استقلال إقليم «كوسوفا» وما سبقه من المعاناة والحقد العنصري والتعصب الديني والتطهير العرقي والاغتصاب الجماعي والجرائم الإنسانية، التي مورست ضدهم والتي جعلت التعايش أو الحياة المشتركة تكاد تكون مستحيلة.

فما أشبه اليوم بالبارحة، فكما أن الظلم والاضطهاد واستلاب حرية الاختيار والاعتقاد والتعصب الديني هيأت أهل تلك البلاد لاعتناق الإسلام، الذي وجدوا أنفسهم فيه، فإن التصفية الجسدية والتعصب والتمييز العنصري والتطهير العرقي والجرائم الجماعية، التي لا تكاد تصدّق، هي التي دفعت الإقليم اليوم إلى الانفصال أو الاستقلال، لعل ذلك يكون وسيلة حماية من تحول الإقليم إلى مقابر للناس وهم أحياء.

والله غالب على أمره.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

تعتبر المناطق التي كانت تضمها دول البلقان، في الفترة موضع هذه الدراسة، من المناطق الساخنة والملتهبة سياسياً في الوقت الحاضر، باعتبارها تضم مجموعات كبيرة من المسلمين تمثل أغلبية في بعض دولها كما هو الحال بالنسبة إلى «كوسوفا»، التي تعيش داخل قارة تعتبر بحكم اعتناق معظم رعاياها للنصرانية ووجود زعامات معظم الطوائف النصرانية وعلى رأسهم «البابا» الذي مقره بالفاتيكان بها قارة نصرانية، وهي القارة الأوروبية التي بدأت في الآونة الأخيرة تضيِّق الخناق على المسلمين من رعاياها بصفة خاصة، وتمارس ضغوطاً على الدول الإسلامية بصفة عامة.. هذه الوضعية الحالية لدول البلقان، وخاصة «كوسوفا»، تجعل منها ظاهرة تستحق الدراسة.

ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع انتشار الإسلام في «كوسوفا» في القرن الخامس عشر الميلادي لتسلط الضوء على الظرفية التاريخية، التي كانت تمر بها «كوسوفا» قبيل انتشار الإسلام فيها، والوسائل والمعينات التي استخدمها

المسلمون لفتح «كوسوفا» ونشر وتوطين الإسلام والثقافة الإسلامية فيها، وتسليط الضوء كذلك على الدولة الإسلامية، التي تبنت مشروع الفتح الإسلامي وهي الدولة العثمانية.

وتتضمن هذه المقدمة المحاور الآتية: الإشكالية المحورية للبحث، وأهمية البحث، وأهداف البحث، وتساؤلات البحث، وحدود البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وهيكل البحث.

وفيما يلي تفصيل لكل محور على حدة:

- إشكالية البحث:

ما هي القوى الإسلامية التي كانت وراء الفتح الإسلامي لكوسوفا؟ وما هي الظروف التاريخية التي كانت تمر بها «كوسوفا» قبل الفتح؟ وكيف تمكن الفاتحون المسلمون من اغتنام هذه الظروف وفتح «كوسوفا» وتوطين الإسلام والثقافة الإسلامية بها؟ وما هي النتائج التي ترتبت على ذلك؟

- أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من كونه يسعى إلى:

أولاً: إبراز الوضع الديني والاجتماعي والسياسي في«كوسوفا» بصفة خاصة وبلاد البلقان بصفة عامة قبل الفتح العثماني.

إن التحول الديني الذي حدث في بلاد البلقان بعد الفتح العثماني لا يمكن فهمه وتقويمه تقويماً علمياً إلا بعد الوقوف على الأوضاع الدينية

والسياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في المنطقة المذكورة، وهذا ما سوف يضطلع به هذا البحث.

ثانياً: توضيح الوسائل التي استخدمها العثمانيون لجذب ألبان «كوسوفا» للإسلام:

تحاول هذه الدراسة أن تقرأ المصادر والدراسات المتعلقة بانتشار الإسلام في «كوسوفا» قراءة متأنية وفاحصة لأجل الوصول إلى الوسائل، التي استخدمها العثمانيون لجذب الألبان إلى الدين الإسلامي، للاستفادة منها في ممارسة الدعوة إلى الإسلام في الحاضر والمستقبل، ولتفنيد الأباطيل والأكاذيب التي روج ويروج لها أعداء الإسلام فيما يخص تحول الألبان إلى الدين الإسلامي.

ثالثاً: المساهمة في إعادة كتابة تاريخ «كوسوفا»:

تناولت أقلام عديدة تاريخ «كوسوفا» وخاصة الجانب الإسلامي منه، وقد تنوعت هذه الأقلام، فبعضها كان متطرفاً ومنحازاً لثقافته ودينه ومتحاملاً على الفترة العثمانية في هذه المنطقة، وبعضها كان معتدلاً ولكنه لم يأخذ بعين الاعتبار وجهة النظر الكوسوفية، ومن هنا جاء دور هذه الأطروحة باعتبارها مشروعاً ينتمي صاحبه إلى المنطقة المستهدفة بالدراسة، وألزم نفسه التقيد بقواعد البحث العلمي في كتابته وعلى رأسها الوقوف على الدراسات والكتابات السابقة وتقويمها وتخصيص مساحة كبيرة لوجهة النظر المحلية تجاه الموضوع المطروح.

- أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- بيان كيفية انتشار الإسلام في «كوسوفا»، مع ذكر الوسائل التي استخدمها العثمانيون لنشر الإسلام فيها.

٢- توضيح الآثار الاجتماعية التي ترتبت على انتشار الإسلام في «كوسوفا».

٣- الربط بين الماضي والحاضر لفهم التقدم الحضاري والثقافي الحالي في «كوسوفا» والانطلاق منه للتخطيط للمستقبل.

٤- معرفة أسباب التوجه العثماني نحو بلاد البلقان عامة، و«كوسوفا» بصفة خاصة.

٥- معرفة كل من الموقع الجغرافي لكوسوفا، وأصل تسمية الألبانيين، وأصل سكان «كوسوفا»، وأصل اللغة الألبانية.

٦- إبراز دور الدعاة في نشر الإسلام في «كوسوفا» .

تساؤلات البحث:

تتلخص أسئلة البحث في الآتي:

١- ما الموقع الجغرافي لكوسوفا؟

٢- ما أصل تسمية الألبانيين؟

٣- ما أصل سكان«كوسوفا» ؟

٤- ما أصل اللغة الألبانية؟

٥- ما هو الوضع السياسي والاجتماعي في«كوسوفا» قبل الفتح العثماني؟

٦- ما هو دور قوم «البجناك» في انتشار الإسلام في «كوسوفا» ؟

٧- ما هو دور الداعية «صاري صلتوق» في انتشار الإسلام في «كوسوفا» ؟

٨- من هم العثمانيون؟

٩- ما هي مراحل الفتح العثماني «لكوسوفا»؟

١٠- ما هي أسباب التوجه العثماني «لكوسوفا»؟

١١- إلى ماذا كان العثمانيون يهدفون من وراء استيلائهم على«كوسوفا» ؟

١٢- ما هي العوامل التي كانت وراء انتشار الإسلامي في«كوسوفا»؟

١٣- ما هي اسهامات العثمانيين في «كوسوفا» ؟

١٤- ما هي إيجابيات العثمانيين وسلبياهم في «كوسوفا» ؟

- حدود البحث:

يتحدد موضوع البحث في: انتشار الإسلام، واختيار القرن الخامس عشر الميلادي زماناً و«كوسوفا» مكاناً.

- الدراسات السابقة حول الموضوع:

إن الواجب، أكاديمياً، على كل باحث أن يقوم بإخبار الآخرين عن أي دراسة كُتبت حول موضوع بحثه، مستقلة كانت أو داخل مجلة متخصصة، وأي كتاب حديث أورد في جزء منه جزئية تتعلق بموضوعه، ثم أن يقوم بتقويمها وتحديد أهميتها بالنسبة إلى دراسته.

وبالنسبة إلى الموضوع الذي نحن بصدده، فقد اطلعت على كثير من المصادر والدراسات، التي لها علاقة بتاريخ انتشار الإسلام في البلاد البلقانية عامة والألبانية بصورة خاصة، فلم أعثر من بينها على كتاب أو بحث بعنوان «انتشار الإسلام في«كوسوفا» في القرن الخامس عشر الميلادي – التاسع الهجري»، لذلك أستطيع أن أقول: إن هذا البحث يعتبر البحث الأول في هذا الجانب، حسب علمي، ولكني قد وجدت مقالات في بعض المجلات الألبانية بعنوان «انتشار الإسلام لدى الألبان»، وقد استفدت منها، كما استفدت من الكتب التاريخية المعتمدة في تاريخ الألبانيين عامة و«كوسوفا» بصفة خاصة[١].

---

(١) من تلك الكتب: Historia e popullit shqiptar: grup autorësh, akademia e shkencave e Shqipërisë – Instituti i historisë، Skender Rizaj: Kosova gjate shekujve XV, XVI Dhe XVII، و Studime per mesjeten لـ Dr. Muhamet Ternava، وكذلك كتاب Rrethe perhapjes se islamit, لـ Muhidin Ahmeti، و Skice e mendimit politik shqiptar لـ Husamedin Feraj، و Neper gjurmet e islamit لـ Ali M. Basha، ومن المقالات المتعلقة بقضية انتشار الإسلام لدى الألبان، المقالة التي كتبها Dr.Muhamet Pirraku في مجلة: Dituria islame.

- منهج البحث:

تم استخدام وتوظيف المنهج التاريخي، الذي يهتم بفحص المعلومة وإسنادها إلى صاحبها، كما تم توظيف المنهج التحليلي، وبناءً عليهما تم الاهتمام بما يأتي:

١- الإطلاع على المصادر، التي تعد من أهم الكتب المعتمدة في التاريخ الألباني، وكذلك المصادر والمراجع التي لها علاقة بانتشار الإسلام في«كوسوفا».

٢- التنقيب في المراجع العربية، التي لها علاقة بالدولة العثمانية الإسلامية وانتشار الإسلام في بلاد البلقان، ومن ضمنها «كوسوفا»، وتوظيف ما بها من معلومات في بناء وتطوير وجهة البحث.

٣- كتابة أسماء المدن والأماكن الألبانية بالحرفين العربي واللاتيني وفقاً للنطق المحلي لها مثلاً: بريشتينا - Prishtina.

٤- الالتزام بكتابة التاريخ الهجري وما يوافقه من التاريخ الميلادي في البحث كله.

- هيكل البحث:

يتكون هيكل هذا البحث من الآتي:

- المقدمة.

- **الفصل الأول:«كوسوفا» قبل الفتح العثماني**، و يحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الموقع الجغرافي «لكوسوفا».

المبحث الثاني: أصل تسمية الألبانيين.

المبحث الثالث: أصل سكان «كوسوفا».

المبحث الرابع: أصل اللغة الألبانية.

- **الفصل الثاني: دور الدعاة في انتشار الإسلام في «كوسوفا» قبل العثمانيين،** ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الوضع السياسي والاجتماعي في «كوسوفا» قبل العثمانيين.

المبحث الثاني: دور «البجناك» في انتشار الإسلام في «كوسوفا».

المبحث الثالث: دور الداعية «صاري صلتوق» في انتشار الإسلام في «كوسوفا».

- **الفصل الثالث: الفتح العثماني لكوسوفا،** ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالعثمانيين.

المبحث الثاني: مراحل الفتح العثماني «لكوسوفا».

المبحث الثالث: أسباب التوجه العثماني «لكوسوفا».

المبحث الرابع: استيلاء العثمانيين على «كوسوفا» ونواحيها.

- **الفصل الرابع:«كوسوفا» تحت سيطرة العثمانيين،** ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وسائل العثمانيين لنشر الإسلام في «كوسوفا».

المبحث الثاني: إسهامات العثمانيين في «كوسوفا».

المبحث الثالث: القيم العثمانية في «كوسوفا».

- **الخاتمة:**

أولاً: النتائج.

ثانياً: التوصيات.

الفصل الأول
«كوسوفا» قبل الفتح العثماني

المبحث الأول
الموقع الجغرافي لكوسوفا

تعتبر دراسة الموقع الجغرافي أمراً مهماً؛ لأنـــها تظهر المزايا، التي يمتـــاز بها ذلك الموقع، من حيث المناخ الطبيعي وأهميته وثرواتـــه وخـــصوصياته واتصاله بالعالم الخارجي؛ من أجل ذلك فسوف يتم إيضاح ما يأتي:

معنى كلمة «كوسوفا»، أصلها وتطورها، والموقع الجغرافي، والـــدول المجاورة لها، وإمكانية التواصل بينها وبين العالم الخارجي.

أولاً: معنى كلمة «كوسوفا» في اللغة والاصطلاح:

- «كوسوفا» لغة:

إن لفظ «كوسوفا» مكون من جزئين، أما الأول «كاسا kasa» وتعني العمق، وأما الثاني «وا va» فهو لفظ يستخدم لوصف الأماكن والمنـــاطق، وبعد تركيب شقيهـــا تصبح «كاساوا Kasava» وهذا الاســـم ســـجلت

لأول مرة، ولكن اللفظ السائد والمؤرخ منذ القرن الثاني عشر هو اللفظ «كوسوفا Kosova»[1].

فاستخراج المعنى التكويني لهذا الاسم المكاني يدلنا على أن هذه التسمية قديمة وعريقة تاريخياً، ومعروفة تقريباً منذ العصر الأول الإيليري – الألباني، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بناء على اللفظ «كاس kas» كوّنت الأسماء الكثيرة منذ العصر القديم، مثلاً: أسماء الرجال ككاس-ي-kas-i، كاسيوس kassius.. كاسو kasu، وبعد ذلك أسماء القبائل، ككاسترات kastrat، كاستريؤوت kastriot.. أما الجزء الآخر «وا-va»، فإنه يضاف إلى آخراللفظة لوصف الأماكن والمناطق، مثلاً: كوسووا kosova، ماروا marova، ساوا sava، إلى آخره[2].

وهناك من يقول إن: كلمة «كوسوفا» مأخوذة من «كاس كاس kas kas» وتعني الجبل، التل، و«وا va» وتعني السهل الواسع المرتفع[3]. ولكلمة «وا va»، معان كثيرة في اللغة الألبانية، وهي:

- مخاضة، مثلاً: مخاضة البحيرة[4].

---

(١) Dr. Muharem Cërabregu: Gjeo dhe hartolinguistika – Hartografia II, Prishtinë, Biblioteka – tekstet universitare, 1989, fq.: 236.

(٢) Ibid., fq.: 236 .

(٣) Grup autorësh: Gjeografia e Kosovës – për klasën e VIII të shkollës fillore, Prishtinë, Enti i teksteve dhe i mjeteve mësimore i Kosovës, 1995,fq.: 6

(٤) Dr. Muharem Cërabregu: fq.:236.

- المضحل (المكان الذي يقل فيه الماء) في نهر ما، الذي يفتح حتى يتسع حجمه، ويمكن المرور عبره حتى تطلع إلى جهة أخرى[١].

- ممر المشاة، والرصيف في الغابة أو في الحقل[٢].

- الحل والمخرج للنجاة من الظروف الصعبة[٣].

- **«كوسوفا» اصطلاحاً:**

إن كلمة «كوسوفا Kosova» اسم لمنطقة معروفة في البلقان، استوطنها قديماً الداردانيون الأصليون، وكان ذلك، كما يقال، قبل الميلاد، ويستوطنها حديثاً الألبانيون (سكان «كوسوفا») وهم أحفاد الداردانيين.

وإن أصل كلمة «كوسوفا» أصل ألباني، ينطقها الألبانيون«كوسوفَا» بفتح الفاء، وأما الصرب والأوروبيون فينطقونها «كوسوفُو» بضم الفاء[٤].

اشتهرت «كوسوفا» قديماً بـ «قوصوه»[٥] وعرفت حديثاً بـ «كوسوفا» ومعناهما واحد[٦].

---

(١) Grup autorësh: Fjalor i gjuhës së sotme shqipe, Tiranë, shtypshkronja MIHAL DURI, 1980, fq.: 2103,

(٢) Ibid., fq.: 2103

(٣) Ibid., fq.: 2103

(٤) بهاء أحمد الأمير،«كوسوفا» المذابح والسياسة (القاهرة: دار النشر للجامعات، ١٩٩٩م) ص١١.

(٥) «قوصوه» قوص معناها كبير أو واسع، وأوه معناها السهل، وهناك من يقول: إن كلمة«كوسوفا» تعني ساحة الطيور السوداء، والجدير بالذكر أن الأسماء العديدة مثل: «قوصوه» و«قوصووه» و«قوص أوه» و«كوسوفا» و«كوسوفو» كلها بمعنى واحد، انظر: محمد فريد بك المحامي، ص ١٣٥؛ الدكتور محمد سهيل طقوش، ص ٤٣.

(٦) بهاء أحمد الأمير، ص ١١.

ثانياً: الموقع الجغرافي لكوسوفا:

تبلغ مساحة «كوسوفا» ١٠٨٧٧ كلم مربع، وحسب الإحصائية التي أجريت في عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، بلغ عدد سكّان «كوسوفا» ٢,١٧٥,٠٠٠ نسمة، أكثر من ٩٠% منهم ألبانيّون أصليّون، والمتبقون يتوزعون بين الصرب وأهل الجبل الأسود والغجر والأتراك.. وعاصمة «كوسوفا» هي «بريشتينا Prishtina» التي يبلغ عدد سكّانها ٢٥٠,٠٠٠ نسمة، وذلك بناء على إحصائية عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م[1]. وتغيرت الأحوال الإحصائية لسكان مدينة «بريشتينا» بعد الحرب، التي انتهت في الشهر السادس لعام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، بحيث زاد عدد سكانها بشكل واضح وذلك خلال فترة قصيرة من الزمن حيث وصل تقريباً إلى ٥٠٠,٠٠٠ نسمة.

تمتلك«كوسوفا» موقعاً جغرافياً استراتيجياً، حيث توجد حولها جبال وغابات مترابطة ومتتالية. والجبال الأكثر أهمية وجمالاً هي جبال «شاري Sharri» التي تقع إلى الشرق من جبال ألبانيا الشمالية، وتحتل جزءاً كبيراً من«كوسوفا» الجنوبية، ويصل أعلى جزء من هذه الجبال إلى ألفين

---

(١) Akademia e shkencave – qendra e inciklopedisë shqiptare: Kosova në vështrimin enciklopedik, Tiranë, Shtëpia botuese – TOENA- , 1999, fq.: 7

وخمسمائة متر، وبعضها مغطى بالثلج باستمرار، والمراعي في هذه الجبال هي أماكن مثيرة بجمالها، وأثناء الصيف ترعى فيها الماشية(١).

فالموقع الجغرافي، إلى جانب المساحة التي تحتلها الدولة، والمعادن والغابات والجبال والبحار والأنهار التي تتوافر عليها، هي العوامل التي تتحكم في تقدمها واتصالها بالعالم الخارجي(٢).

تعتبر الجبال «الألبية» في «كوسوفا» أعلى المناطق الكوسوفية، وهي من المناطق العليا في البلقان، حيث يصل ارتفاعها إلى أكثر من ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر؛ والطقس في الجبال الألبية شديد البرودة في الشتاء ويغطي الثلج بعضها شهوراً، وفي بعض الأماكن الألبية الشاهقة لا يذوب الثلج أبداً، وفي هذه الجبال تعيش حيوانات مختلفة، منها: الدب والذئب والخنزير الوحشي والماعز والغزال والدجاجة الوحشية والديك الوحشي والحجل وغيرها(٣).

وتقع «كوسوفا» في الجزء الرئيس لبلاد البلقان، وحدودها برية كلها، وترتبط بعلاقات مع العالم الخارجي بحكم موقعها وسهولة الوصول إليها؛ ولها أهمية تاريخية وعسكرية واستراتيجية، هذا إضافة إلى توافرها على عدد

---

(١) Noel Malcolm: Kosova nje histori e shkurter, KOHA-Prishtine, Tirane, fq.: 1

(٢) Dr. Muharem Cërabregu: fq.: 156

(٣) Akademia e shkencave, fq.: 16, 17, 18, 23

بكبير من الطرق المهمة؛ ولأجل ذلك كانت «كوسوفا» مستهدفة من الأجانب، مثل: الرومانيين والبيزنطيين والصربيين وغيرهم[١].

تقع «كوسوفا» في جنوب شرقي أوروبا، في وسط بلاد البلقان، وليس لكوسوفا اتصال مباشر بالبحر الأدرياتيكي، ولكن لها طريقين للوصول إلى البحر الأدرياتيكي، فالأول يبدأ من مضيق «روغووا rugova» (٢٠ كم طولاً) ثم يمر بالجهة الشمالية الغربية لنهر «إيبري ibri» فالجبل الأسود فالبحر الأدرياتيكي، وأما الثاني فهو عبر واد لنهر «درين الأبيض drini i bardhe» ثم ألبانيا ثم البحر الأدرياتيكي.. و«كوسوفا» محاطة تقريباً من جميع نواحيها بجبال عالية يصل طولها في المتوسط إلى ٢٠٠٠ متر[٢].

تمتلك «كوسوفا» كثيراً من الأنهار والأودية، التي تجري فيها وتصب في ثلاثة بحار هي: البحر الأدرياتيكي، والبحر الأسود، وبحر إيجه، أما الأنهار الرئيسة في«كوسوفا» فهي ثلاثة:

١ - دريني الأبيض «Drini i bardhe» وهو أهمها، به شلاّل يصل طوله إلى حوالي ٣٠ متراً، ويمتد هذا النهر إلى ١٢٨ كيلو متراً منها ١١١,٥ تقع داخل الأراضي الكوسوفية[٣].

---

(١) Grup autorësh: Gjeografia e Kosovës, fq.: 5, 6

(٢) Akademia e shkencave, fq.: 8

(٣) Ibid, fq.: 26, 27

٢- إيبري «Ibri» يصل طوله إلى حوالي ٢٨٠ كيلو متراً، ولكن ٨٥ كيلو متراً فقط منه تقع داخل الأراضي الكوسوفية(١).

٣- لبنسي «Lepenci» يصل طوله إلى ٨٥ كيلو متراً، ويتميز بوجود كمية كبيرة من السمك من نوع السلمون المرقّط – التروتة في مياهه(٢).

وتشتهر «كوسوفا» بكمية كبيرة من النباتات المتنوعة، تصل إلى ٢٥٠٠ نوع؛ وتعتبر «كوسوفا» من أغنى المناطق البلقانية فيما يتعلق بالنباتات وتنوعها(٣).

وتعتبر الأراضي الكوسوفية من أغنى المناطق الأوروبية من حيث المعادن، مقارنة بمساحتها الصغيرة، بحيث تمتلك «كوسوفا» كميات كبيرة من الرصاص والزنك، وتحتل أحد المراكز الأولى من بين الدول الأوروبية في هذا الشأن(٤).

وأكبر منجم للرصاص في «كوسوفا» هو منجم «تربشا Trepca»، الذي يقع في مدينة «ميتروويتسا Mitrovica»، ويليه منجم «هايواليا Hajvalija» و«كيشنيتسا Kishnica» وكلاهما موجود بالقرب من مدينة «بريشتينا Prishtina»(٥).

---

(١) Ibid, fq.: 28

(٢) Ibid, fq.: 31.

(٣) Ibid, fq.: 36

(٤) Ibid, fq.: 42, 43

(٥) Prof. Dr. Mark Krasniqi: Gjeografia ekonomike, Prishtine, Enti I teksteve dhe njeteve mesimore te Kosoves, botimi i katert, 1985, fq.: 307

بدأ استغلال معادن الأراضي الكوسوفية قبل الميلاد، وذلك من قِبل الداردانيين أولاً، وثم ازداد هذا النشاط المركّز لاستغلال تلك الأراضي بمجيء الاحتلال الروماني، وقد استمر هذا الاستغلال حتى بعد مجيئ البيزنطيين والعثمانيين وإلى يومنا هذا[1].

والرومان هم الذين قاموا بتشييد مساكن كثيرة في«كوسوفا» (داردانيا القديمة) في المناطق الغنية بالمعادن، مثلاً: في مدينة «أولبيانا Ulpiana»، وهو اسم قديم لمدينة «بريشتينا Prishtina».. وفي العصر الروماني كان العبيد هم الذين يشتغلّون في المعادن أو «الإيليريون» الذين كانت عندهم خبرة في المعادن[2].

وفي القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين فتحت مناجم كثيرة وغنية في مدن «بلانا Pllana» و«بلاسيتسا Bellasica» و«بيروينيكو Berveniku» و«تربشا Trepca» و«نوووبردا Novoberda» و«يانييوا Janjeva»، وكانوا يخرجون من هذه المناجم: الرصاص والزنك والفضة والذهب، وغير ذلك[3].

يقول المؤلف البولندي «يووان دلوغاشي Jovan Dlugashi» الذي عاش في القرن الخامس عشر الميلادي: «إن صربيا (كوسوفا) تملك مناجم كثيرة وغنية ومتنوعة»[4].

---

(١) Dr. Muharrem Cerabregu: fq.: 162

(٢) Skender Rizaj: Kosova gjate shekujve XV, XVI Dhe XVII, Rilindja, 1982, fq.: 98

(٣) Ibid, fq.: 99

(٤) Ibid, fq.: 99.

وقد أعجبت الدولة العثمانية بمناجم «كوسوفا» الغنية، بحيث يقول المؤرخ الإخباري التركي «دورسون بك Dursun beu» الذي عاش في القرن الخامس عشر الميلادي: إن «كوسوفا» تعتبر مركزاً لجميع المناطق، وهي مملوءة بالمعادن مثل الذهب والفضة، وكانت الإدارة العثمانية تهتم بصناعات المعادن، وذلك حتى قبل الفتح العثماني الكامل «لكوسوفا» الذي كان في عام ٨٦٠هـ/١٤٥٥م؛ لأنها كانت قبل هذا العام ترسل عمّالها ومراقبيها إلى أهم المناطق وخاصة الأسواق الرئيسة، وإلى بعض المدن والمناجم التي كانت خارج مراقبة ممثّلي الحكّام الصربيين، وكان هدف العثمانيين من ذلك إعاقة تصدير الفضة ما دامت الدولة تحتاج إلى المعادن، وبناء على مصدر يرجع إلى عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م فإن بعض الرجال من مدينة «دوبروونيك Dubrovnik» قد اعتنقوا الإسلام - وذلك قبل الفتح العثماني الكامل - وفي الحقيقة قد حدث ذلك طواعية[1].

وأحسب أن هؤلاء الرجال، الذين اعتنقوا الإسلام، هم الذين كانوا يشتغلون في المعادن التي كانت في داخل حدود «كوسوفا» الحالية، وذلك كخبراء في الشؤون المعدنية.

---

(١) Ibid, fq.: 100

كانت الإدارة العثمانية تهتم اهتماماً بالغاً بالاستكشافات للمناجم بمختلف أنواعها، لحاجتها لها لتوفير احتياجات الجيش العثماني الكبير من السلاح(١).

ولكي تتضح، أكثر فأكثر، فكرة علو منزلة «كوسوفا» ومقامها المركزي في هذه المنطقة البلقانية يكفي أن نذكر هنا ما أشرنا إليه سابقاً من أن الأنهار التي تنبع من «كوسوفا» تفيض في ثلاثة شواطيء بلقانية وهي: إيجه، والبحر الأسود، والبحر الأدرياتيكي(٢).

إن المعلومات الجغرافية، التي أشرنا إليها في هذا الجزء من البحث، توضح لماذا كانت «كوسوفا» تتمتع بأهمية تاريخية باستمرار(٣).

---

(١) Ibid, fq.: 101

(٢) يسمى أحد هذه الأنهار «لبنسي Lepenci» الذي ينبع ويجري من الجنوب ويمر بمدينة كوسوفية هي «كاشانيك Kacanik» ويمر بمقدونيا، ويفيض في عاصمتها في نهر «واردار Vardar» ويستمر في جريانه حتى يصل إلى الشاطئ اليوناني قريباً من مدينة «سلانيك Selanik». أما النهر الثاني فيسمى «إيبري Ibri» وهو ينبع من الشمال ويمر بشرقي «كوسوفا» و«صربيا»، ويفيض في نهر «موراوا Morava» وبعد ذلك يفيض في «الدانوب Danub» قريباً من مدينة «بلغراد Belgrad» (عاصمة صربيا الحالية) ويقع «وادي موراوا» في جنوب شرق صربيا. ويسمى النهر الثالث «دريني Drini» وهو الاسم الذي ذكر في تاريخ هذه المنطقة باستمرار، وينبع من غرب «كوسوفا» ، ويمر عبر جبال ألبانيا الشمالية ويفيض في البحر الأدرياتيكي قريباً من مدينة اشكودرا، انظر: Noel Malcolm, fq.: 2

(٣) Ibid., fq.: 4

ثالثاً: الدول المجاورة لكوسوفا:

تقع «كوسوفا» في قلب بلاد البلقان، التي تسمى اليوم بأوروبا الشرقية.. و«البلقان» كلمة تركية أصيلة ومعناها: الجبل الوعر المكسو بالغابات. وتشمل كلمة «بلقان» عدة دول، هي: كرواتيا، صربيا[1]، الجبل الأسود[2]، «كوسوفا»، سلوفنيا، ألبانيا، مقدونيا، البوسنة والهرسك،

---

(١) «صربيا»: كانت جمهورية صربيا إحدى جمهوريات يوغسلافيا السابقة، وتقع في جزيرة البلقان في جنوب قارة أوروبا، تحدها المجر من الشمال، ورومانيا وبلغاريا من الشرق، ومقدونيا وكوسوفا من الجنوب، والجبل الأسود والبوسنة والهرسك وكرواتيا من الغرب. عاصمتها «بلغراد»، تبلغ مساحة صربيا الحالية ٧٧٤٨٤ كلم مربع، ويبلغ عدد سكانها ٧٠٠٠٠٠٠ نسمة. اللغة الرسمية فيها هي اللغة الصربية، والصرب من جنس السلاف «الصقالبة»، كانوا يعيشون في أول أمرهم بالقرب من بحر «الخزر» المعروف الآن ببحر «قزوين». وعندما هاجمتهم الجحافل الطورانية من الجهة الشرقية اضطروا إلى الفرار ناحية الغرب حفاظاً على حياتهم إلى أن استقروا في الجزء الشمالي من البلقان، وكان ذلك في القرن السابع الميلادي أو بعده بقليل، على خلاف بين المؤرخين. وهي الآن جمهورية باسم «صربيا».. كانت تابعة لأقاليم الدولة العثمانية في الفترة ما بين عامي ٧٤٠-١٢٣٣هـ/١٣٣٩-١٨١٧م واستقلت بموجب معاهدة برلين عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م، وتشكلت فيها مملكة سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م اجتاحتها القوات الألمانية والنمساوية والبلغارية، وعادت صربيا مملكة بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨-١٩٤١م. انظر: محمد يوسف عدس، «كوسوفا» بين الحقائق التاريخية والأساطير الصربية (القاهرة: المختار الإسلامي، ١٩٩٩م) ص ٢٤ وما بعدها.

(٢) «الجبل الأسود»: يسميه الأتراك «قرا داغ»، أما باللغة الإنجليزية فيسمى «Montenegro»، وهو إقليم صغير في يوغسلافيا السابقة تحده كرواتيا من الغرب، والبوسنة والهرسك من الشمال الغربي، وصربيا من الشمال الشرقي، وكوسوفا من الشرق، وألبانيا من الجنوب الشرقي، والبحر الأدرياتيكي من الجنوب الغربي. وعاصمته «تيتوغراد» أو «بودغوريتسا». استقل بموجب معاهدة برلين، وأصبح مملكة سنة ١٩١٠م، وانضم إلى يوغسلافيا السابقة عام ١٩١٨م؛ والجبل الأسود الآن يشكل مع جمهورية صربيا اتحاداً باسم جديد ألا وهو «صربيا والجبل الأسود (يوغسلافيا الجديدة)». وعدد سكان الجبل الأسود وحده ٦٠٠٠٠٠ نسمة، انظر: محمد قارون، المسلمون في يوغسلافيا (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤، ص: ٨٠).

بلغاريا، رومانيا، اليونان، والجزء الأوروبي لتركيا[1]؛ والذي يزور أية دولة من الدول البلقانية فإنه سيجد فيها الجبال والغابات، وبصورة كثيفة في كل ناحية من نواحيها. يقول العالم الألباني «شمس الدين سامي فراشري» في كتابه الشهير «قاموس تركي»، وهو باللغة التركية القديمة، ويعتبر من المعاجم المعتمدة فيها: «بلقان- بالقان»: المكان الوعر، والمتتالي بالجبال، أو الجبل المستور بالغابات، وسلسلة الجبال[2]؛ وهناك من يقول: إن كلمة «بلقان» مشتقة من لفظة (بلقانجيا) باللغة التركية وتعني «الجبل»... والمناطق التي سميت باسم البلقان اعتبرت مركزاً للحضارة الأوروبية القديمة، وعثر علماء الآثار في بلاد «البلقان» على آثار تدل على وجود حياة بشرية فيها منذ سبعين ألف سنة قبل الميلاد... وهناك عوامل جغرافية كثيرة ومهمة كان لها تأثير كبير في التركيبة السكانية لبلاد البلقان وتاريخها وحضارتها، وأهم تلك العوامل هي: اتصالها بالقارة الآسيوية[3].. ونجد الفكرة نفسها عند الآخرين ممن يقول: إن كلمة «بلقان يعود أصلها إلى اللغة التركية، وهي تعني «الجبل»... وقد استوطنت مجموعات بشرية المناطق التي سميت

---

(١) انظر:
Hazirlayanlar: Komisyon, Turkce sozluk, 1- cilt, A-J, Ankara, Baski: Turk Tarih Kurumu Basim Evi,dokuzuncu baski, 1998, fq.: 211.

(٢) انظر: ش. سامي: قاموس تركي، . Enderun Kitabevi, Beyazit – Istanbul, 1989, fq.:275.

(٣) انظر: محمد خليفة، الإسلام والمسلمون في بلاد البلقان، ط١ (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩٤م) ص٥٠-٥١ .

باسم بلاد البلقان منذ العصر الحجري القديم[1].. ويقول المؤلف الكوسوفي «د. محرم سربرغو Dr. Muharem Cerabregu»: إن التسمية «بلقان» تسمية مشهورة في نطاق واسع، ويمكننا من ناحية التكوين أن نقسمها إلى قسمين، قسم «بال Balle» وتعني باللغة الألبانية: جبهة، جبين، وقسم «آن Ane»، وتعني بالألباني: جهة، جانب.. واعتمدت وجهة نظره على ما يلي:

- بناء على طبيعة تكوينها، بحيث يمكن استخراج معناها من كلمات اللغة الألبانية.

- هناك كلمة «بالتاك Balltak»، وتعني بالألباني: الجبين الصغير، وهي كلمة مشهورة تستخدم في اللغة الألبانية اليومية وتتكون من كلمتي «بال Balle» وتعني: الجبين، و«آك Ak» وهي حرف لاحق (مقطع يضاف إلى آخر اللفظة). وفي الحقيقة أن اسم «بلقان» يطلق على الأرض الخضراء، أي الأرض الخصبة ذات الأمطار الغزيرة وتكثر فيها الجبال[2].

وبعد استعراض هذه الآراء الواردة في حقيقة معنى كلمة «بلقان» يترجح لدينا أن كلمة «بلقان» مأخوذة من اللغة التركية وتعني: «الجبل»، وسبب الترجيح هو أن هذا الرأي ورد في عدة مصادر موثوقة.

---

(١) انظر: علي حسون، العثمانيون والبلقان، ط٢ (بيروت ودمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٨٦م/ ١٤٠٦هـ) ص ٧.

(٢) انظر: Dr. Muharem Cerabregu: fq.: 217.

والبلقان هي جسر أوروبي أو تقاطع أوروبي بين أوروبا وآسيا، هي خلطة مكونة من عدة شعوب، أو هي قوة ضرورية لأوروبا، وكل هذه الأشياء تظهر أهمية هذه المنطقة بالنسبة لأوروبا وآسيا، ومن أجل ذلك وقعت فيها عدة حروب في التاريخ السابق والمعاصر. وتعتبر البلقان جزيرة محاطة بثلاثة بحار وهي: البحر الأدرياتيكي في الغرب، البحر المتوسط في الجنوب وبحر إيجه والبحر الأسود في الشرق(١)، يقول العالم البريطاني إدوارد. آ. فريمن Edward.A.Freeman، في الجغرافيا التاريخية لأوروبا: «اليونان والمستعمرات اليونانية» (Greece and the Greek Colonies): إن جزيرة البلقان كانت في العصر القديم مقسمة بهذا الشكل: إيليريا وتمتد في أعظم الجزء البلقاني، أي كانت تمتد من سلوفنيا Sllovenia إلى آبولونيا، وفي جنوب البلقان كانت تمتد مقدونيا وأبيري (Epiros) Epiri، وفي شرق البلقان كانت تمتد ثراقيا Thrakia. ويعني هذا أن «إيليريا» كانت تشمل كل أراضي يوغسلافيا السابقة وجمهورية ألبانيا الحالية(٢).

---

(١) انظر:

Georges Castellan: Historia e Ballkanit, perkthyen nga origjinali frengjisht: Arben Puto, Luan Omari, botoi: Ngbgsh «Gutenberg», Prishtine, 1997, fq.: 17.

(٢) انظر:

Skender Rizaj: Kosova gjate shekujve XV, XVI Dhe XVII, Rilindja, 1982, fq.: 13, 14

وتحد «كوسوفا» مقدونيا[1] من الجنوب الشرقي، وصربيا من الشمال الشرقي، والجبل الأسود من الشمال الغربي، وألبانيا[2] من الجنوب الغـــربي، وتقع«كوسوفا» في الجانب الجنوبي من جمهورية يوغسلافيا السابقة.

---

(١) «مقدونيا»: دولة أوروبية تقع في جزيرة البلقان في جنوب شرق قارة أوروبا، تحدها صربيا وكوسوفا من الشمال (٢٥٢ كلم)، وألبانيا في الغرب (١٥٥ كلم)، واليونان من الجنوب (٢٥٦ كلم)، وبلغاريا في الشرق (٢٥٦ كلم)، وتبلغ مساحتها ٢٥٧١٣ كلم مربع ويبلغ عدد ســكانها ٢٨٨٠٠٠٠ نسمة، وذلك حسب السجل لعام ٢٠٠٠م، وعاصمتها «اسكوب Shkup»، وتقــع في شمالها، ويبلغ عدد سكانها ٤٤٠٥٧٧ نسمة. حكــم «اســكوب» البيزنطيــون، وبعــدهم البلغاريون، ودخلت في تكوين المملكة الصربية في نهاية القرن الثالث عشر.. ومــن نــصف القرن الرابع عشر أصبحت مقراً ملكياً للملك «استفان دوشان». وحكمتها الدولة العثمانية مــن عام ١٣٩٢م إلى عام ١٩١٢م، وفيما بعد أصبحت ضمن الدولة الصربية (١٩١٢) وفي عام ١٩١٨ أُتبعت الدولة اليوغسلافية، وفي تاريخ ١٩٩١/١/٢٥ أعلن البرلمان المقدوني استقلال البلد عن يوغسلافيا، وفي ١٩٩١/٩/١٥م أعلنت مقدونيا استقلالها باسم جمهوريــة مقــدونيا المستقلة. واللغة الرسمية: هي المقدونية والألبانية. انظر:
Ledia & Silviu Mushat: Enciklopedi gjeografike e Europes, Shtepia botuese «DITURIA», Tirane, 2002, fq.:108, 109, 110).

(٢) «ألبانيا» دولة أوروبية تقع في جنوب القارة الأوروبية، وفي الجنوب الشرقي لجزيرة البلقان، ويحدها الجبل الأسود من الشمال، وكوسوفا من الشمال الشرقي (الجبل الأسود وكوسوفا معاً ٣١٠ كلم) وجمهورية مقدونيا من الشرق (١٥٥ كلم) واليونان من الجنوب (٢٤٧ كلم)، وفي الحدود الغربية يحدها البحران: الأدرياتيكي، وإيجه (البحران معاً ٤٠٧ كلم) وتبلغ المساحة الكلية لألبانيا الحالية ٢٨٧٤٨ كم مربع، ويبلغ عدد سكانها ٣٧٦٠٠٠٠ نسمة (السجل لعام ١٩٩٨م) واللغة الرسمية فيها هي اللغة الألبانية، وعاصمتها «تيرانا-Tirana» وهي أعظم مدينة في ألبانيا، يبلغ عدد سكانها ٧٥٠٠٠٠ نسمة.. بدأ تاريخ «تيرانا» كمدينة رئيسة في عام ١٦١٤م، وذلك عندما أنجزت البنيات المدنية الأولى بها، كالمساجد والدكاكين والمخابز والحمامات، ثم بدأت المدينة تتوسع بشكل تدريجي وفقاً لزيادة عدد السكان.. وبناء على المعلومات الصادرة من قبل الدولة الألبانية فإن المسلمين تبلغ نسبتهم من مجموع سكان ألبانيا حوالي ٧٢%، ثم يأتي بعدهم الأرثوذكس ١٨%، ثم الكاثوليك ١٠%، انظر:
Ledia &Silviu Mushat: Enciklopedi gjeografike e Europes, Shtepia botuese «DITURIA»,Tirane, 2002, fq.: 163,166. / www.vikipedia.org)

رابعاً: اتصال «كوسوفا» بالعالم الخارجي:

كانت «كوسوفا»، كجزء رئيس من بلاد البلقان مأهولة بالسكان منذ ما قبل التاريخ، تؤكد ذلك نتائج الكشوفات الأثرية التي قام بها العلماء الأجانب والألبان[1]، حيث عثر فيها على صنم يرجع تاريخه إلى نحو خمسة آلاف وخمسمائة سنة.. وقد كان لموقع بلاد البلقان المتميز، الذي جعل منها جسراً يربط بين آسيا وأوروبا، دور في استقرار العنصر البشري بها منذ فترة ما قبل التاريخ[2].

وكانت «كوسوفا» ملتقى لطرق القوافل التجارية والعسكرية القادمة من الاتجاهات المختلفة، ولذلك فإن الذي يحكم «كوسوفا» بإمكانه أن يراقب المداخل الاستراتيجية من جهة البوسنة وألبانيا الشمالية، وبإمكانه أيضاً أن يتحكم في الاتصال بين صربيا ومقدونيا[3].

وكانت «كوسوفا» تسمى باسم «داردانيا Dardania»[4] في العصور القديمة.. وظهر اسم «داردانيا» في المصادر القديمة لأول مرة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، كما أن قواتها كانت من القوات الرئيسة في البلقان في الفترة ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد.. كانت «داردانيا» الإقليم

---

(١) Ibid., fq.: 48

(٢) Dr. Muharem Cerabregu: p.: 163, & Grup autoresh: Gjeografia e Kosoves, fq.: 48

(٣) Noel Malcolm, fq.: 5, 6

(٤) انظر: Revista shkencore: DARDANIA SACRA – 2, Prishtine, Botues Pal SHTUFI, 2000, fq.: 87, 90.

الأخير للإيليريين، الذي اعترض على التدخل الروماني، ولكنها سقطت وفقدت استقلالها بتدخل الاحتلال الروماني في أراضيها.. وبعد انضمام «داردانيا» للاحتلال الروماني بدأ سكانها ومدنها يتأثرون باللاتينية الرومانية، وكذلك بدأ الإيليريون ينخرطون في العسكرية الرومانية وفي إدارة الدولة، واستطاع الإيليريون وخاصة الداردانيون منهم أن يصلوا إلى المناصب العليا في الإمبراطورية الرومانية، بداية من القرن الرابع الميلادي. ويؤيد ذلك ما ذكره بعض المؤرخين أن قنسطنطين الأكبر الذي نقل المقر الرئيس للإمبراطورية الرومانية إلى شواطئ البوسفور من عائلة داردانية، وقد أسس قنسطنطين الأكبر مدينة جديدة سميت روما الجديدة، ولكن تغير اسمها فيما بعد، وسموها القسطنطينية نسبة لمؤسسها قنسطنطين، وهي المدينة التي تسمى اليوم باسم «استانبول».

وفي القرن الرابع الميلادي انقسمت الإمبراطورية الرومانية رسمياً إلى قسمين، وأصبحت الإمبراطورية تقف على رجلين، رجل في الشرق بمقرها الرئيس في مدينة قنسطنطينية، ورجل في الغرب بمقرها الرئيس في مدينة روما، وبهذا الانقسام انضمت «داردانيا» للإمبراطورية الشرقية، أي بيزنطية. وبعد الحرب المشهورة في «كوسوفا» التي وقعت في عام ١٣٨٩م بين الدولة العثمانية الإسلامية والشعوب الأخرى المتحالفة وانتصار العثمانيين فيها انضمت «داردانيا» إلى الدولة العثمانية[1].

---

(١) انظر: Dr. Muharem Cërabregu: Gjeo dhe hartolinguistika – Hartografia II,Prishtinë, Biblioteka – tekstet universitare, 1989, fq.:175, 176, 177.

وكانت مدينة «نائيسي Naisi» (نيش Nish الحالية — مدينة صربية) مركزاً رئيساً للداردانيا القديمة، وقد ساعدها موقعها المميز على النمو والتطور. وكانت مدينة «اسكوب Shkup» المركز الثاني لداردانيا القديمة، وكانت لها علاقة بمراقبة الطرق المهمة وكذلك كانت لها أراض زراعية غنية(١).

تأسست المملكة الداردانية في القرن الرابع قبل الميلاد في الأراضي الكوسوفية الحالية والمناطق التي حولها، وكانت حدود هذه المملكة في الشمال مدينة «نيش Nish»، وفي الجنوب مدينة «كوكس Kuks» (مدينة في ألبانيا الحالية)، ويعتبر «لونغار Longar» أول ملك لمملكة «داردانيا»، ويأتي بعده «باتو Batu»، و«مونون Monun». ويذكر الكتّاب القدامى أن الأراضي الداردانية كانت واسعة ومناسبة للزراعة، ويذكرون بأن سكّانها كانوا مشهورين بصنعة الذهب، وبمنتجات الحليب وخاصة الجبنة التي كانت معروفة. ويخبرنا هؤلاء الكتّاب القدامى بأن الداردانيين كان لديهم أرقاء كثيرون، فكان الدارداني الواحد يملك ألفاً من الرقيق أو أكثر، وكل هؤلاء الأرقاء كانوا يشتغلون في الزراعة عند سيدهم، أثناء السلم، وأما أثناء الحرب فكانوا يشتركون في الجيش، وكان على رأس ذلك الجيش سيدهم. كان لداردانيا جيش قوي منظّم جداً، وقد برزت قوة هذا الجيش الدارداني المميزة في القرن الثالث قبل الميلاد عندما نزلت القبائل الكلتية من أوروبا المركزية إلى البلقان، حيث أظهر

---

(١) انظر: Neritan Ceka: Iliret, Tirane, Shtepia botuese ,,Ilar, 2001, fq.:155.

قدرته على الدفاع عن داردانيا واستعدوا لمناصرة المقـدونيين أيـضاً مـن هجمات القبائل الكلتية[1].

ظهر اسم داردانيا في المصادر القديمة لأول مرة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، كما أن قواتها كانت من القوات الرئيسة في البلقان في الفترة ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد[2].

كان لوجود مقدونيا كدولة قوية ومعادية لـداردانيا دور في تحجـيم المكانة السياسية لداردانيا في بلاد البلقان، ولكن بدأت داردانيا في الظهـور كقوة مؤثرة بعد ضعف مقدونيا بسبب الهجمـات الكلتية على أراضـيها وما دار بينهما من حروب، وتمكنت داردانيا من استغلال هذه الظـروف وتوسيع أراضيها على حساب مقدونيا[3].

وكلمة «داردانيـا Dardania»: تعـني في اللغـة الألبانيـة «أرض الكمثرى»، ويقول المؤرخ الألباني «طيـار زاوالاني»: مـن الممكـن أن الداردانيين الذين كانوا يسكنون في«كوسوفا» أخذوا اسمهم مـن كلمـة «دارذا Dardha» معناها كمثرى. وقد سكن الإيليريون (وهم أول الشعوب التي استوطنت بلاد البلقان، وهم يعتبرون أجداداً للألبان، كما سيأتي عندما

---

(١) انظـر: Grup autoresh: Historia e Shqiperise dhe e shqiptareve, Prizren, Shtypshkronja: SIPRINT, 2001, fq.: 30.

(٢) انظـر: Revista shkencore: DARDANIA SACRA – 2, Prishtine, Botues Pal SHTUFI, 2000, fq.: 87, 90.

(٣) انظر: Aleksander Stipceviq: Iliret, Tirane, Botimet Toena, 2002, fq.: 46.

نتحدث عنهم) قديماً في هذه الأراضي (أي أراضي «كوسوفا» الحاليـــة). كانت ولاية «داردانيا» تشمل أراضي«كوسوفا» الحالية، وكانت المدينـــة الرئيسة لداردانيا «نايسوس Naissus» (نيش Nish الحالية، وهـــي الآن مدينة صربية) وكانت المدينة الثانية «اسكوب Shkup» (مدينـــة لمقـــدونيا الحالية، وهي عاصمتها اليوم)، وكانت المدينة الثالثة «أولبييانـــا Ulpiana» (اسم قديم لبريشتينا، وهي عاصمة «كوسوفا» الحالية). وفي عـــام ٥١٨م، أي في حكم الإمبراطور «آناستاس Anastas» (ولد الإمبراطور آناســـتاس في مدينـــة «دورس Durrse» - مدينـــة في ألبانيـــا الحاليـــة - وحكـــم الإمبراطورية البيزنطية في عام ٤٩١ م وحكم تقريباً عشرين سنة) حـــدث زلزال قوي تسبب في انهيار أربع وعشرين مدينة لداردانيا ومنـــها مدينـــة اسكوب التي أصبحت تراباً كلها، أما المدينة القديمة «أولبييانا» التي بنيت في عصر الروم، وتقع في جنوب شرق اسكوب فقد عززها يوستينيان بأســـوار جديدة وزينها بكثير من الأبنية الجديدة وسماهـــا «يوســـتينيانا ســـكوندا Justiniana Secunda»[1].

وفي نهاية القرن الأول - قبل الميلاد - احتل الروم «كوسوفا»، وعندما انهار الجزء الغربي للإمبراطورية الرومية في عـــام ٤٧٦م كانـــت أراضـــي «كوسوفا» تحت احتلال الجزء الشرقي لهذه الإمبراطورية، التي اســـتمرت

---

(١) انظر: Tajar Zavalani: Histori e Shqipnis, Shtepia e librit Phoenix,1998, fq.: 21, 58, 59, 63, 69.

عشرة قرون ولكن باسم بيزنطة. وبلغت الإمبراطورية البلغارية أقصى نهضتها في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الملاديين في عصر القائد «سايمون Simone » ٢٨٠ – ٣١٥هـ / ٨٩٣ – ٩٢٧م وكانت «كوسوفا» الحالية تحت حكم هذا القائد كجزء من الإمبراطورية البلغارية. وبعد وفاة «سايمون» في عام ٣١٥هـ / ٩٢٧م بدأت الإمبراطورية البلغارية تنهار ولكن بشكل تدريجي، وعادت البلقان بما فيها «كوسوفا» الحالية إلى أملاك الدولة البيزنطية[١].

وفي عام ٣٦٦هـ/٩٧٦م اندلعت ثورة في مقدونيا ضد الحكم البيزنطي بقيادة الإخوة الأربعة أبناء القائد «نيكول Nikolle» وتمكن أصغر هؤلاء الإخوة من تأسيس إمبراطورية كبيرة، ومن ضمن الأراضي التي احتلها أراضي «كوسوفا» الحالية، ولكن نجاحاته لم تستمر طويلاً حيث هزمه القائد البيزنطي (واصيل Vasil الثاني) في عام ٤٠٥هـ/١٠١٤م، وبعد مرور أربعة أعوام فقط جدد هذا القائد الحكم البيزنطي في البلقان، وفي «كوسوفا» الحالية كذلك، ومنذ ذلك الحين انضمت «كوسوفا» إلى دولة بيزنطة وبقيت على ذلك إلى أن احتلها الصرب في نهاية القرن الثاني عشر[٢].

استمر الحكم الصربي حتى عام ٨٦٠هـ/١٤٥٥م، وأثناء حكمهم أصبحت أراضي «كوسوفا» مركزاً لصربيا وخاصة بعدما اتسعت صربيا من

---

(١) Dr. Muhamet Ternava: Popullsia e Kosoves gjate shekujve 14–16, Prishtine, fq.: 20

(٢) Ibid., fq.: 20

جهة الجنوب. وفي العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الميلادي انتقل مركز الكنيسة من مدينة «شيج Zhice» الصربية إلى مدينة «بييا Peja» الكوسوفية[١].

وفي عام ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م فتح الأتراك العثمانيون الجزء الأكبر من أراضي «كوسوفا» الحالية، أما في العقد السابع من القرن الخامس عشر الميلادي فقد حكم العثمانيون كل أراضي «كوسوفا» الحالية[٢].

ولتسهيل إدارة «كوسوفا» ونواحيها قسمها العثمانيون لعدة ولايات في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين: كولاية «ووشيترنا Vuciterrna»، وولاية «بريزرن Prizren»، وولاية «دوغاجين Dugagjine»، وولاية «شكودرا Shkodra»[٣]، باستثناء بعض الأجزاء حول مدينة «ازوتشان Zvecan»، ومدينة «ميتروويتسا Mitrovica»، (المدينتان تابعتان لكوسوفا الحالية)، وهاتان المدينتان كانتا في ذلك الحين تحت حكم البوسنة، وكذلك مدينة «كاشانيك Kacanik» (المدينة تابعة لكوسوفا الحالية) التي كانت تابعة لولاية «اسكوب Shkup»[٤].

---

(١) Ibid., fq.: 20

(٢) Ibid., fq.: 21

(٣) «شكودرا»: مدينة بألبانيا الحالية.

(٤) Ibid., fq.: 21

المبحث الثاني

أصل تسمية الألبانيين

اختلفت الروايات والآراء حول أصل كلمة «ألبان».. ويعرف الألبانيون في المصادر المختلفة بأسماء شتى، وهي: «ألباناس Albanas»، «ألبانسي Albanesi»، «آرباناسين Arbanasin»، «آربانوس Arbanus»، «آربر Arber»، «آرنابوت Arnabut»، «آرناؤود Arnaud»، «آرناووت Arnavut»[1].

وبناء على ما جاء في «سالنامه»[2] لولاية «كوسوفا» فإن كلمة «آربان Arban» يأتي أصلها من اللغة الألبانية وهي: «آر- بان»، وتعني الحارث، الذي يحرث الأرض، ويحسب العالم «غوستاو مير Gustav Mayer» أن كلمة «شكيبتار»، التي يسمي بها الألبانيون أنفسهم، أصلها من الكلمة اللاتينية «Excipio» وتعني: أخرج، أخذ، أطلق سراحه، جمع،

---

(١) كان الشعب الألباني يسمى بتماثل دائم بين حرف اللام والراء، فمثلاً: باللغة اليونانية «أليانوء Albanoi»، و«آربانوء Arbanoi»، أو «ألبانيتاني Albanitai»، و«آربانيتاني Arbanitai»، أما باللغة اللاتينية «آربانسس Arbanenses»، أو «ألبانسس Albanenses»، فمن الشكل اللاتيني أو الروماني جاء اللفظ السلافي «آرباناس Arbanas»، ومن اللفظ اليوناني الجديد «آروانيتيس Arvanitis» جاء اللفظ التركي «آرناؤود Arnaud»، «آرناوود Arnavud»، «آرناووت Arnavut»، والألبانيون يسمون أنفسهم بـ«آربر Arber»، و«شكيبتار Shqiptar» انظر:
Skender Rizaj: fq.: 428

(٢) «سالنامه» كتاب تقويمي سنوي لسائر معلومات الوقائع لسنة واحدة لدى العثمانيين.

نادى، اتجه إلى اتجاه واحد، ويعتقد العالم الكبير «اسكندر ريزاي» أن كلمة «شكيبتار» هي كلمة ألبانية لا محالة، ويأتي أصلها من الفعل «شكيبتيم Shqiptim»، وتعني: النطق، أوالتلفظ(١).

كان السلافيون يسمون الألبانيين باسم «آرباناس Arbanas»، والغربيون يسمونهم بـ«آلبانسس Albanenses»، والأتراك بـ«آرناؤوت Arnaut» (٢).

أما تسمية «شكيبري» و«شكيبتار» فلا وجود لها في الدراسات القديمة التي تؤرخ للعصر اليوناني الروماني، وهذه الحقيقة هي التي جعلت بعض المؤلفين الأوروبيين يعتقدون بأن الألبانيين ليسوا سكاناً أصليين للأراضي التي يسكنونها اليوم، وإنما هم مهاجرون إليها(٣).

---

(١) Ibid., fq.: 428

(٢) يقول المؤرخ المشهور «اسكندر ريزاي»: إن كلمة «شكيبتار» تعني النجدي (الرجل الجبلي) ساكن النجاد أو الهضاب، ولكن الألبانيين يوضحون تسميتهم بلغتهم العامية (أو باللغة الشعبية) ويقولون: إن كلمة شكيبتار مأخوذة من كلمة «شكيبه Shqipe – Shkipe» التي تعني النسر عندهم، أما المقطع الأخير «تار Tar»، يعني جناح، ومن هنا فالتسمية تعني أجنحة النسر.

والأسماء الأخرى كـ«آرباناس Arbanas»، و«آلبانز Albanez»، و«آرناوت Arnaut» فإن جذورها واحدة، وكلمة «آر Are» في اللغة الهندو أوروبية تعني: حرث، والكلمة نفسها في اللغة الألبانية تعني: الحقل (الأرض الزراعية)، أما كلمة «بان Bane»، ففي الفارسية – الإيرانية تعني الحارث أو المزارع، وبناء على ذلك يمكن القول: إن من هذه الألفاظ يأتي أصل تسمية هذا الشعب، انظر: Ibid., fq.: 431

(٣) كلمة «شكيبتار» مأخوذة من الفعل «شكيبتوي Shqiptoj» وتعني: فهم، إذن فهي كلمة ألبانية والصفة منها «شكيبتار» أي فاهم.. ويقول المؤلف اليوناني القديم «أولاندري Ylandri»: إن كلمة «شكيبتار» تعني: ساكن الصخور والجبال، انظر:
Mehdi Frasheri: Historia e lashte e Shqiperise dhe e shqipetareve, botimi i 2-te, PHOENIX, TIRANE, 2000, fq.: 51-52.

وهناك من يرى أن أصل كلمة «شكيب Shqip» من الاسم «شكيبونيا Shqiponja» وتعني: النسر؛ ويعتبر الألبانيون أبناء النسور.. ويعتقد المؤلف اليوناني «أريستيث كولا» أن هذه التسمية بدأت بظهور البطل الألباني «إسكندر بيك»[1] (٨٠٨ - ٨٧٣هـ/١٤٠٥-١٤٦٨م) الذي كان النسر ذو الرأسين مرسوماً في لوائه، مثل ما هو اليوم في لواء جمهورية ألبانيا الحالية؛ أما ما يتعلق باللفظين «ألبان Alban» و«آربرش

---

(١) إسكندر بيك: اسمه الأصلي «جرج كاستريؤوت» وهو الابن الأصغر لجون كاستريؤوت الذي كان رئيساً لإحدى العائلات الأكثر قوة في ألبانيا الوسطى. ولد جرج في مدينة كرويا التابعة لألبانيا الحالية في سنة ١٤٠٥م، حسب ما أورده المؤلف «بارلتي»، وفي سنة ١٤١٢م وفقاً لما أورده «فان نولي». وبعد هزيمة أبيه على يد الأتراك في سنة ١٤٢٣م اضطر جون كاستريؤوت - والد جرج - أن يقدم أولاده الأربعة إلى السلطان مراد الثاني كرهائن، وكان عمر جرج حين انتقل إلى قصر السلطان ثمانية عشر عاماً، وقضى في القصر عشرين عاماً، ودرس في المدرسة العسكرية بقصر السلطان، وأصبح أحد القواد المشهورين في بعض الحروب في أوروبا وآسيا، وكان يرجع من كل الحروب ظافراً منتصراً، وبدأت سمعته تنتشر كل يوم. وبعد وفاة أبيه الذي كان والياً في مدينة كرويا لم تسند إليه ولاية كرويا وإنما أسندت إلى أحد الأتراك المقربين من السلطان، وفي عام ١٤٤٣م وقعت حرب بين العثمانيين والمجريين وكان جرج يقود إحدى الكتائب العثمانية المشاركة في الحرب، ولم يكن راضياً عن سياسة السلطان؛ لأنه لم يسند إليه ولاية كرويا بعد وفاة أبيه، لذلك انتهز هذه الفرصة وانسحب من المعركة وتوجه نحو مدينة كرويا بعد أن أجبر كاتب السلطان على إعطائه فرماناً - مرسوماً - ينص على تعيينه والياً عليها، الأمر الذي أدى إلى هزيمة العثمانيين أمام الجيوش المجرية، وفي منطقة كرويا أعلن جرج التمرد على العثمانيين وظل يحاربهم حتى وفاته في سنة ١٤٦٨م. أنظر: www.skender-beu.com.

«Arberesh» وقضية التفريق بينهما التي أقلقت الباحثين[1]، فتسمية ألبان هي تسمية قديمة وتعني: العلو أو الجبل، وهناك مدينة قديمة كانت موجودة ذكرها العالم الجغرافي الروماني «كلاوديؤ بتوليؤ Klaudio Ptolemeu» (ولد في عام ٩٠م، وتوفي في عام ١٦٠م) وذلك في عام ١٥١م، وكان الألبانيون يسمون تلك المدينة باسم «آربر Arber» يرجع هذا الاختلاف في النطق إلى اللغة اليونانية التي كانت وسيلة لانتقال هذا الاسم عبر الأجيال. أما «آربرش» فهو اسم أخذه الألبانيون الذين عاشوا في إيطاليا من اسم «أربر» وأطلقوه على أنفسهم[2].

لقد سميت ألبانيا في تاريخها القديم باسم «إيليريا Iliria»، واستمرت تلك التسمية إلى عام ٤٧٥هـ/١٠٨٢م، ومنذ ذلك التاريخ انتشرت تسميتها الجديدة، ألا وهي ألبانيا[3].

واعتبر عام ٤٧٥هـ/١٠٨٢م، عاماً مهماً في تاريخ ألبانيا وضواحيها؛ لأن تسميتها القديمة «إيليريا» قد تحولت إلى «ألبانيا»، وبدأ استخدام هذا الاسم لألبانيا بكل أراضيها وحدودها التي تضم أراضي ألبانيا الحالية

---

(١) Aristidh P. Kola: Arvanitasit dhe prejardhja e grekeve, perkthyer nga origjinali: Aldior Agora, shtepia botuese 55, botimi i pare, Tirane, 2002, fq.: 136, 137

(٢) Ibid., fq.: 137

(٣) محمود علي التائب، ألبانيا عبر القرن العشرين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (بنغازي: دار الكتب الوطنية ، بدون تاريخ) ص ١٥.

والأجزاء التي شملتها حدودها قديماً والتي بترت منها ظلماً، وذلك في بداية القرن الماضي، ونسي الناس اسم «إيليريا» بمرور الزمن[١].

كان الألبانيون يطلقون على أنفسهم في القرون الوسطى اسم «آربني Arbeni» و«آربنش Arbeneshe» و لم تذكر لنا المصادر التاريخية سبباً لتحول اسم آربان إلى ألبان، وكان سكان آربني يفضلون أن يسموا أنفسهم بالألبان[٢].

ويقول العالم المعاصر الخبير بالشؤون البيزنطية الروسي «آ. واسيليو A. Vasiliev»: إن اسم «ألبانيز – Albanez» قد استخدم لأول مرة في القرن الحادي عشر الميلادي من قبل المؤلفين البيزنطيين كمسمى للمجموعة السكانية الأصلية لألبانيا الحالية وضواحيها[٣]؛ فهم لا يسمون أرضهم ألبانيا بل «شكيبنيا Shqiperia» أي أرض النسور، ولايسمون أنفسهم ألبانيين بل «شكيبتارين Shqiptare» أو أبناء النسور[٤].

وقد ذكرت المؤرخة «آنا كومنينا Ana Kumnina» (٤٧٦–٥٤١هـ/١٠٨٣–١١٤٦م) وهي بنت الإمبراطور البيزنطي «آلكس الأول

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٢) Tajar Zavalani: fq.:93.

(٣) Ibid., fq.: 93, 94

(٤) Jacques: Shqiptaret Historia e popullit shqiptar nga lashtesia deri ne ditet e sotme, perkthyer nga anglishtja: Edi Seferi, shtypi LAJMI I MIRE, Tirane, fq.: xiii

«Aleks I»، التي ذكرت في تاريخها المشهور أن الشعب الذي يعيش في مدينة دورس (الألبانية) يسمي نفسه «آربانز arbanez»[1].

ويقول العالم الألباني «سامي فراشري Sami Frasheri»: إن تسمية «ألبانيا» مأخوذة من كلمة «آربانيا» التي ينطقها اليونانيون «آروانيا» ويسمون الشعب الألباني باسم «آروانيت Arvanit»؛ وبدّل العثمانيون هذه التسمية «آروانيا» إلى «آرناويت Arnavit» أو «آرناووط Arnavut» وهذا هو في الأساس أصلها، أما الذين حاولوا في بحوثهم أن يستخرجوها من اللغة العربية «الأرناؤوط» أي «عار لنا أن نعود Ar lena an neud» واللغة الفارسية مثل: «آرنبود Arnbud» فمحاولاتهم بعيدة عن الحقيقة[2].

أما عن أصل كلمة «آربان» فهي مكونة من: «آر – Ar» التي تعني في اللغة الألبانية: الأرض الزراعية، و«بان Ban» بمعنى يعمل، وبذلك تكون الكلمة بشقيها تعني: الذي يعمل، إذن فإن كلمة «آربان» تعني: المزارع الذي يمارس الزراعة بنفسه[3].

أما المؤرخ البريطاني «نول مالكولم Noel Malcolm» فيقول: إن الاسم الذي يستخدم مع كل الاختلافات اللغوية هو الاسم نفسه[4].

---

(١) Ibid., fq.: 183

(٢) Sami Frasheri: Vepra7, zgjodhi dhe perktheu nga turqishtja: Feti Mehdiu, Rilindja, Prishtine, 1984, fq.: 18

(٣) Ibid., fq.: 18

(٤) Noel Malcolm – Kosova nje histori e shkurter, perktheu nga anglishtja Dr. Abdullah Karjagdiu, Prishtine, KOHA, Tirane, 2001, fq.: 29

وحاول الأستاذ بكر إسماعيل الوصول إلى أصل تسمية الألبان بالألبانيين من خلال تتبعه لتاريخ هذا الشعب والدول التي تعاقبت على حكمه، فتوصل إلى أن الرومان قد أطلقوا عليهم اسم ألبان، وهي في الأصل «أربان» إلا أن الرومان بعد انتشارهم في بلاد البلقان واحتكاكهم بالشعب الألباني المقيم قبلهم بقرون استبدلوا اللام بالراء فصاروا ينطقونها «ألبان» بدلاً من «أربان»، وبمرور الزمن ذاعت هذه الكلمة واشتهرت في البلقان كلها، ولما أصبحت بلاد الألبان تابعة للدولة العثمانية أطلق العثمانيون على أهلها اسم أرناؤوط، وهي عندهم مشهورة بالدال المهملة «أرناوودجي»، وعند العرب بالطاء المهملة، وهي وإن كانت شبه جمع يفرق واحده بياء النسبة إلا أن العرب جمعوها على «أرانطة»[1].

والذي يترجح عندي أن أصل اسم الألبانيين جاء من كلمة «آربان» الألبانية وتعني المزارع.

---

(١) وفي عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م اصطلح على تسمية الألبان بـ«شكيبتار» من قبل الألبانيين أنفسهم لأنها كلمة ألبانية أصلية، بكر إسماعيل، أثر اللغة العربية في اللغة الألبانية (القاهرة: مؤسسة ألبابرس، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ص١١-١٢.

المبحث الثالث

أصل سكان «كوسوفا»

اختلف المؤرخون حول الأصول العرقية لسكان «كوسوفا» الأوائل وعلاقتهم بها، فقد أورد المؤرخون المسلمون وغيرهم أن الشعب الألباني كان أول الشعوب التي استوطنت البلقان. إلا أن تاريخ هجرة هذا الشعب إلى هذه المنطقة ما يزال مجهولاً حتى اليوم.

ويؤكد أمير البيان «شكيب أرسلان (١٢٨٦ - ١٣٦٦هـ/١٨٦٩ - ١٩٤٦م)» في كتابه: «لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم»، قائلاً: «و لم يزل الأرناؤوط أرناؤوطاً منذ عهد لا يعرف بدؤه، وهم بين أمتين كبيرتين، اليونان والصقالبة، أي السلاف»[١]، و«إن الألبانيين سكنوا هذه البقاع واستوطنوا البلقان قبل أي شعب آخر»، وهو في الوقت نفسه رأي قدماء المؤرخين[٢].

أما المؤرخون الأوروبيون فبعد إطلاعهم على اللغة الألبانية ومقارنتها باللغات الأخرى توصلوا إلى مؤشرات، حاولوا توظيفها لمعرفة أصل الشعب الألباني، ومن أين أتى؟ ومتى استوطن البلقان؟ فقالوا: إن الأمم والأقوام

---

(١) الأمير شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، ط ٤ (بيروت: دار الفكر، ١٩٦٥م) ص ٧٣.

(٢) بكر إسماعيل، ص ٩.

المختلفة حينما قامت بأول هجرة في التاريخ القديم من مناطق «بلخ وهرات» بآسيا الوسطى توجه بعضها إلى روسيا، وبعضها إلى قفقاسيا، وبعضها إلى سواحل البحر الأسود، وبعضها إلى إيران والأناضول، وكلها كانت تقصد الهجرة نحو الغرب، وإن أول شعب من الشعوب نزح إلى البلقان واستوطن في شرق أوروبا هو الشعب الألباني(١).

أما عن الألبانيين الحاليين، فإن الرأي السائد حالياً في أوساط العلماء هو انحدارهم مباشرة من «الإيليريين Illyrians» القدماء(٢)، ويُعتبر «الإيليريون» أجداداً للألبانيين(٣).

---

(١)بكر إسماعيل، ص ٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٩.

(٣) يقول صاحب المؤلفات في التاريخ الروماني «تؤودور مومسين Theodor Momsen»: إن أراضي البلقان وأوروبا الوسطى أخذت اسم «إيليريسيوم Illyricum»، الذي اشتهر في العصر الروماني؛ لأنها كانت مأهولة بالشعب الإيليري، الذي كان منتشراً في تلك المنطقة، وسلالة هذا الشعب لا تزال موجودة وتعيش الآن في وسط البلقان، ويسمي هذا الشعب نفسه «شكيبتار Shqiptare» ويعرف عند الآخرين بـ«أليانيز Albaniz» أو «أرناؤوط Arnaut» وحافظ على قوميته ولغته القديمة إلى يومنا هذا.. ويقول المؤرخ اللاتيني «آبيان Appian»: كان «إيلير» ابناً لـ «بوليفم Polifem» و «غلاتي Gallatea» وكان لهذين الزوجين ابنان آخران غير «إيلير» وهما «كلت Kelt» و «غلات Gallat»، والأبناء الثلاثة هاجروا من «سيسيليا Sicilja» وأطلقت أسماؤهم على ثلاثة شعوب قديمة، وهي: الإيليريون، والكلتيون، والغلاتيون، وكان لإيلير ستة أبناء، هم الذين أسسوا الست قبائل الإيليرية وهي: «تاؤولانتيون Taulantet»، و «أنكليون Enkelet»، و «آؤوتارياتيون Autariatet»، و «داسارتيون Dasaretet»، و «داردانيون Dardanet» (القبيلة التي عاشت في أراضي«كوسوفا» الحالية) وأخيراً «بارثنيون Parthenet»، Tajar Zavalani: fq.: 17

وأول مؤرخ ذكر الإيليريين هو «هــرودوتي Herodoti» في البــاب الرابع من كتابه «التاريخ» حيث قال: إن الداردانيين في القرن الخامس قبل الميلاد كانوا يعتبرون جزءاً من الإيليريين[١].

و لم تذكر المصادر التاريخية ولا المصادر الأخرى شيئاً عن تاريخ هجرة الألبانيين إلى ألبانيا، ومن هنا يمكن القول: إن الألبانيين أصليون في أراضيهم التي يسكنوها اليوم؛ لأن الألبانيين هم أبناء الإيليريين ولا يوجد انقطاع في سلسلة نسبهم إليهم[٢].

وحسب الوثائق الصربية المتعلقة بأحداث القرون الوسطى فإن الألبانيين موجودون في«كوسوفا» وما حولها، حيث تقول: إن الألبانيين مــذكورون في ناحية «دوغاجين Dugagjine» (الكوسوفية)، وفي مدينــة «بريــزرن Prizren»، وفي ناحية «درنيتسا Drenica» (الكوسوفية)[٣].

---

(١) Neritan Ceka: fq.: 147

(٢) هذه الحقيقــة العلمــية، التي تثبت أن الألبانيــين ينحدرون من الإيليريين، مــؤيدة مــن قــبل كثــير من العــلماء مثل: «غ. ميــر G. Mayer»، «و. سيموهووســكي W. Cimohovski»، «آ.دسنــيسكــايا A. Desnickaja»، « هــ. ميهــاأسـكــو H. Mihaesku»، «ك. ييرشيكو K. Jireçeku»، «آ. ستيبشويتــشي A. Stipçeviçi»، «ر. كاتيجيجي R. Katiçiqi».. ويــذكر العــالم الكبيــر «آلكــساندر ستيبــشويتش Aleksander Stipçeviç» في كتابه «الإيليريون» أن الثقافة الإيليرية جزء لا يتجــزأ من التاريخ الوطني الألباني، انظر:
Hivzi Islami, Rrjedha demografike shqiptare, Dukagjini, Peje, 1994, fq.: 223-225

(٣) Ibid., fq.: 234

هذه المعلومات تثبت حقيقة وجود الألبانيين في الأراضي الكوسوفية في هذا العصر وقبله بكثير.

وفي عصر الحكم الروماني سميت البلقان بـــ «إيليروسيوم Ilirucum» أي «إيليريا» وقد حملت «داردانيا» هذا الاســـم خــلال عــصر الحكــم البيزنطي[١].

وتوضح الثقافة الألبانية – الآربرية – عبر المساكن الأثريــة الكــثيرة بشكل واضح أن أصحابها كانوا سكاناً أصليين، وهي اســتمرارية للثقافــة الإيليرية التي حافظت على العرف الإيليري وطورته[٢].

وفي العصور الأولى الميلاديــة حينمــا كانــت تقــع الحــروب في أراضي«كوسوفا» الحالية بين القبائل الإيليرية والكلتية والألمانيــة كانــت مساحة«كوسوفا» تسمى بــ «كامبي داردانيـــسي Campi Dardanici»، وفي سبعينيات القرن السادس الميلادي في نهاية حياة الإمبراطور البيزنطــي «جوستينيان Justinian»، وأصله إيليري، كانت جزيرة البلقان كلها تسمى بـــ «إيليريا Iliricum» إلا الجزء الجنوبي الشرقي للبلقان فقد كان يـــسمى «ثراقيا Thrakia»[٣]، وهذا يدل على أن الشعب الألباني أو أصوله كانت تعيش في هذه المنطقة منذ القدم.

---

(١) Dr. Hakif Bajrami, KOSOVA njezete shekuj te identitetit te saj, shtepia botuese ERA, Prishtine, 2001, fq.: 13.

(٢) Grup autoresh: fq.: 42

(٣) Skender Rizaj: fq.: 14.15

ويذكر العالم الجغرافي القديم «بطليموس Ptolemeu»، مـن مدينـة الإسكندرية في مصر، في خريطته، لأول مرة قبيلـة «ألبـانوي Albanoi» ومدينتها «ألبانوبوليس Ibanopolis»، التي تقع اليوم في وسط ألبانيا الحالية ما بين مدينة «دورس Durres» ومدينة «ديبر Diber»[1]، ويؤيد هذا العالم الآراء التي تؤكد أصلية الألبان في أراضيهم.

شملت المساكن الإيليرية قديماً جنوب النمـسا وجـزءاً مـن المجـر ويوغسلافيا السابقة وألبانيا وجزءاً من شمال اليونان.. والقبائـل الإيليريـة الرئيسة قـديماً هـي: «يـابوديون Japodet» في الـشاطيء الكـرواتي، و«ليبورديون Liburdet» في شمال دالماسيا بالقرب من مدينة «زارا Zara»، و«دالمـاتيون Dalmatet» في دالماسـيا، و«دسـيتيئاتيون Desitiatet» و«داؤورسيون Daorset» في البوسـنة، و«آؤوتـاريون Autariatet» في الهرسك، و«آرديانيون Ardianet» في دالماسيا الوسطى إلى النهر «نرتـوا Neretva»، وتعتبر قبيلة الآرديانية هي الأقوى، التي أسست مملكـة قويـة إيليرية بعاصمتها «إيـشكودرا Shkodra»، ومـن ملوكهـا: «آغـرون Agron»، و«تؤوتا Teuta» (امرأة)، و«غينسي Genci»، وهي المملكـة التي دمرت من قبل الرومان، و«داردانيـون Dardanet» في«كوسـوفا» الحالية، و«ألبانيون Albanet» في ألبانيا الحالية[2].

---

(١) Dr. Eqrem Qabej, Studime gjuhesore, III, redaksia e botimeve RILINDJA, PRISHTINE, 1976, fq.: 18

(٢) Ibid., fq.: 21, 22.

ويقول العالم «هرتزبرغ Hertzberg» (في الشؤون البيزنطية): إن أصل الألبانيين من الإيليريين[١].

ويقول العالم «جوهان ثونمان Johann Thunmann» في كتابه الـذي أصدره في عام ١١٨٨هـ/١٧٧٤م: إنني لم أجد في تاريخ الألبانيين أي أثر يدل على هجرقم المتأخرة[٢].

ويقول العالم اللغوي الألباني «أكرم شابي Ekrem Qabej» (١٣٢٦-١٤٠١هـ/١٩٠٨ - ١٩٨٠م): إننا عندما نقول إن الألبانيين أصليون في أوطاهم الحالية لا نعني أصليتهم المطلقة؛ لأن كل الشعوب - الهندوأوروبية - مهاجرة من أوطاها ما قبل التاريخ، وكذلك الشعب الألباني مهاجر من وطنه الأصلي منـذ القـدم بحيث لا يعرف بدؤه، وإنما نعـني أصـليتهم النسبية فقط[٣].

ويقول العـالم النمـساوي «نـوربرت جـوكلي Norbert Jokli» (١٢٩٤-١٣٦٢هـ/١٨٧٧-١٩٤٢م): إن داردانيا كانت المهد القـديم للألبانيين في البلقان. وقد عبر قبله العالم «م. إ. دورهان M. E. Durhan»

---

(١) Ibid., fq.: 26

(٢) Ibid., fq.: 29

(٣) وهذا ما يؤكده «ثونماني Thunmanni» و«هاني Hahni» (الخبيران في تاريخ الشعب الألباني ولغته): إن الألبانيين يسكنون في أوطان الإيليريين القدامى، ولا يعـرف تـاريخ هجرتهم إلى هذه الأوطان ولأجل ذلك هم أصليون، وفي الأساس هم إيليريون، انظر: Dr.Eqrem Qabej: Studime gjuhesore, IV, redaksia e botimeve RILINDJA, PRISHTINE, 1977, fq.: 143-144.

١٢٨٠-١٣٦٤هـ/١٨٦٣-١٩٤٤م) الذي أكد أن داردانيا كانت المهد القديم للألبانيين[١].

يقول الدكتور محمود علي التائب عن أصلية الألبانيين عامة وأصل سكان«كوسوفا» خاصة: إن الألبانيين أصليون في بلادهم وينحدرون من السلالة الإيليرية القديمة، التي كانت تقطن في الأرض التي سميت بـ «إيليريا» منذ العصر البرونزي الذي يبدأ قبل الميلاد بـ ٢٧٠٠ عام تقريباً، وقد احتلت الإمبراطورية الرومانية بلاد الإيليريين في القرن الثالث قبل الميلاد، وبدأت الثورات الإيليرية ضد الرومان الغزاة واستمرت حوالي قرنين ونصف، ورغم تمكن الرومان من احتلال إيليريا إلا أنهم لم يهزموا الروح المعنوية للشعب الإيليري – الألباني وخاصة سكان المناطق الجبلية وهم الأكثرية. وقد انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: الإمبراطورية الشرقية والغربية في القرن الرابع الميلادي، وكانت «كوسوفا» تابعة للإمبراطورية الشرقية[٢].

فهذه الآراء تتفق على أن الألبانيين ينحدرون من الأصول الإيليرية القديمة التي استوطنت في البلقان ولا يعرف تاريخ هجرتهم إليها.

وهناك رأي شاذ لا تؤيده أية أدلة تاريخية، وهو الرأي الذي أورده السيد أحمد بن زيني وحلان، ويقول فيه: «... الأرناؤوط هم صنف من

(١) Ibid., fq.: 146. & - Edwin Jacques: fq.: 38.

(٢) محمود علي التائب، ص ١٦.

النصارى يتصبرون على المحن، ويتكلفون الأعمال الشاقة، قيل أصلهم من عرب الشام، من بني غسان، ارتحلوا من الشام بعد ما أتى الله بالإسلام، فقدموا من الشام وتوطنوا هذه البلاد، وقيل أصلهم من البربرعبروا البحر من الغرب إلى هذا الصوب، ثم غلب عليهم الجهل فتنصروا ...» [1].

وفي ضوء ذلك كله، وبعد الإطلاع على بعض المصادر والمراجع، التي تتحدث عن تاريخ الشعب الألباني وأصوله بشكل عام، وتاريخ سكان «كوسوفا» بصورة خاصة، فإن الذي يترجح عندي هو النتيجة الموثوقة التي أوردها المؤرخون وتتلخص في أن أصل سكان «كوسوفا» يعود إلى قبيلة «داردانيا» التي تنحدر من الإيليريين، وكانت تعتبر مملكة مستقلة بملكها الأول «لونغار Longar».

(١) السيد أحمد بن زيني وحلان، مفتي مكة – الدولة العثمانية من الكتاب الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، طبعة جديدة بدون ذكر رقمها، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، استانبول، تركيا، ص١٣٠.

المبحث الرابع
أصل اللغة الألبانية

تنتمي اللغة الألبانية إلى مجموعة اللغات «الهندوأوروبية»، التي تنتشر في نطاق جغرافي يبدأ من إيرلاندا في الغرب، حيث اللغة الكلتية، ويمتد حتى الهند في الشرق.. وهذه اللغات هي: اللغة الهندية والإيرانية والآرمنية واليونانية والألبانية والإيطالية والكلتية والألمانية وأخيراً اللغة السلافية[١].

وقد اكتشف «فرانس بوبي Franc Boppi» (١٢٠٦-١٢٨٤هـ/١٧٩١ - ١٨٦٧م) العالم اللغوي المعروف والأستاذ في جامعة «برلين» الألمانية، خاصية اللغة الألبانية، وذلك بعد جهد كبير بذل في عام ١٢٧١هـ/١٨٥٤م؛ وتدل هذه الخاصية على أن اللغة الألبانية تعتبر إحدى اللغات الهندوأوروبية. ويؤيد هذه الحقيقة العالم «أوغوست شلايجري August Schleicheri»، الذي كان تلميذاً لـ «بوبي» الذي أدخل اللغة الألبانية في شجرة اللغات الهندوأوروبية، وذلك بناء على الصلات المتقاربة بين تلك اللغات، ويضع اللغة الألبانية بالقرب من اللغة اليونانية واللاتينية ولكنه يجعلها أقرب إلى اليونانية[٢].

---

(١) Dr. Eqrem Qabej, Studime gjuhesore, III, redaksia e botimeve, RILINDJA, PRISHTINE, 1976, fq.: 11

(٢) Ibid., fq.: 13

ويعتبر الألبانيون الجدد – كما أسلفنا- أحفاداً للألبانيين القدامى، ولغة الألبانيين اليوم ترجع في أصولها إلى اللغة التي كان سكان بلاد البلقان يتكلمون بها منذ ظهورهم على مسرح التاريخ[1].

وتوصل العالم «ماكسيميليان لامبرتزي Maximilian Lambertzi» (١٣٠٠-١٣٨٣هـ/١٨٨٢- ١٩٦٣م) من خلال دراساته للغة الألبانية ومقارنتها باللغة الإيليرية، وبناء على أسماء الأشخاص[2]، توصل إلى أن اللغة الألبانية جزء من اللغة الإيليرية.

والمصادر التي بقيت من اللغة «الإيليرية» هي أسماء الأماكن والرجال، ولا توجد وثائق مكتوبة باللغة الإيليرية، وقد جمع العالم الكبير «جوهان جورج فون هان Johan Georg Fon Han»[3] كل المصادر التي تمكّن من الحصول عليها من أجل الوصول إلى رأي قاطع فيما يتعلق بعلاقة اللغة الإيليرية – الألبانية باللغة اليونانية، فوجد أن اللغة الإيليرية الألبانية تتمتع بخصائص ومميزات لا تتوافر

---

(١) Ibid., fq.: 18

(٢) Ibid., fq.: 21& , - Edwin Jacques: fq.: 38.

(٣) ولد «هان» في عام ١٨١١م، وأصله نمساوي تخرج في كلية الحقوق بجامعة «هايدلبرغ Haidelberg»، عمل محامياً في اليونان، وفيها تعرف بأناس يتكلمون باللغة الألبانية، فتعجب من تلك اللغة التي تختلف من اللغة اليونانية، وفي عام ١٨٤٧م عين نائباً لقنصل النمسا في مدينة «يانينا – Janina» الألبانية، وفيها تعمق في دراسة اللغة الألبانية، وفي عام ١٨٥٤م أصدر كتابه الأساس بثلاثة مجلدات، وسماه بـ «دراسات ألبانية» اهتم فيها بالثقافة الألبانية ولغتها وتاريخها، وأقنعته المصادر القديمة بأن الإيليريين لم يكونوا يونانيين، ولكنهم كانوا أقدم منهم، وتوصل بكثير من الجهد إلى نتيجة أن اللغة الألبانية هي امتداد للغة الإيليرية، وتوفي «هان» في عام ١٨٦٩م، انظر في: Edwin Jacques: fq.: 36.

عليها اللغة اليونانية، ومن هنا وصل إلى قناعة بأن الألبانيين يعتبرون أحفاداً لهذه القبائل القديمة في البلقان، ويقصد «هان» القبائل الإيليرية[١].

وقد قام «هان بشرح» مجموعة من الأسماء الإيليرية بألفاظ اللغة الألبانية فمثلاً: الاسم «دالماتيا Dalmatia» و«دلماتيا Delmatia» يقارنها بمعنى ألباني، فيقول: «دل Dele» وتعني بالألباني الغنم، و«دلمر Delmer» وتعني راعي الغنم، وتكون المقارنة مقنعة عندما نلاحظ اسم مدينة «داليون Dalmion» الإيليرية، التي يسميها العالم الكبير «سترابون Strabon» (الخبير في الشؤون الإيليرية — الألبانية) بـ «الحقل — الأرض الخضراء لرعاية الغنم»، مما يؤكد حقيقة أن كلمة «دالم Dalm» أو«دلم Delm» في اللغة الإيليرية كانت اسماً للغنم، كما يقول الألبانيون اليوم «دلمه Delme» أي الغنم[٢].

وللغة الألبانية علاقة مباشرة بمشكلة أصل الشعب الألباني، فإذا كان الشعب الألباني أصيلاً في أراضيه التي يسكنها حالياً، والقبائل الإيليرية عاشت قديماً في الأراضي نفسها، فإن هذه الحقيقة تدلنا على أن الألبانيين هم أحفاد لتلك القبائل الإيليرية، وكذلك تدلنا على أن اللغة الألبانية هي امتداد لإحدى اللهجات القديمة الإيليرية[٣].

وهناك أسماء لمدن وأماكن ألبانية، ليس بإمكاننا معرفة معانيها إلا من خلال اللغة الألبانية[٤].. يقول الدكتور «أكرم شابي» (عالم ألباني): إن

---

(١) Dr. Eqrem Qabej, III, fq.: 26.

(٢) Dr. Eqrem Qabej, Studime gjuhesore, V, redaksia e botimeve, RILINDJA, PRISHTINE, 1975, fq.: 35

(٣) Dr. Eqrem Qabej, III, fq.: 37

(٤) Ibid., fq.: 40

الأسماء القديمة للرجال، والمدن، والأماكن، والأنهـــار، والجبـــال لا يمكـــن شرحها إلا من خلال اللغة الألبانية؛ لأن تلك الأسماء تحتفظ بداخلها علـــى معالم وسمات خاصة، تتعلق بتطور اللغة الألبانية(١).

وقد ذكرت اللغة الألبانية لأول مرة في عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م في وثيقة توجد في أرشيف لمدينة «دوبروونيك Dubrovnik»(٢) أو«راغوزا Raguza» (اسم قديم لمدينة دوبروونيك)، وفيها يقال: «إني سمعت صوتاً ينادي في التل - الجبل - باللغة الألبانية»، أما النص باللغة اللاتينية فهـــو: « audiviunam vocem clamantem in monte in lingua albanesca»(٣).

ويتكلم ألبانيون اليوم بلهجتين رئيستين هما: «غيغ Gege» في الشمال والشمال الشرقي، و«توسك Tosk» في الجنوب(٤)، وليس هناك فرق كبير بين اللهجتين إلا شيء يسير في التلفظ، ولا توجد هناك صعوبة بين أهـــالي اللهجتين في التفاهم بينهم.

ويعتبر تاريخ لغة ما مرآة لتاريخ الشعب الذي تكلم بها قـــديماً، ويتكـــلم بها حديثاً، وتمثل تلك اللغة دائماً وأبداً تاريخ الشعب الذي يتكلم بها؛ وعـــرف علمياً بأن تاريخ اللغة لا يمكن أن ينفصل عن تاريخ الشعب الذي يتكلم بها(٥).

---

(١) Dr. Eqrem Qabej, IV, fq.: 148

(٢) «دوبروونيك Dubrovnik»: مدينة تابعة لكرواتيا الحالية.

(٣) Dr. Eqrem Qabej, IV, fq.: 164

(٤) Ibid., fq.: 188

(٥) Ibid., fq.: 227

وحسب الوثائق التي وصلت إلينا، فيما يتعلق ببداية الكتابة باللغة الألبانية، فإنها بدأت تقريباً في عصر «اسكندر بيك Skender beu»، وأيضاً في بداية التصادم مع الدولة العثمانية[١].

يقول العالم المعاصر «شعبان دميراي Shaban Demiraj»[٢]: إن الرأي الأكثر انتشاراً فيما يتعلق بمصدر اللغة الألبانية هو تفرع هذه اللغة من الإيليرية.. ويؤيد هذا الرأي علماء كبار، من ضمنهم: «ثونمان Thunmann»، و«ليكو Leaku»، و«هان Hahn» و«ميكلوسيجي Miklosici»، و«مير Meyer»[٣]، و«بدرسن Pedersen»، و«جوكلي Jokli»، و«شابي Qabej»، و«كرشمر Krecmer»[٤].

---

(١) Dr. Eqrem Qabej: Studime gjuhesore, V, fq.: 282

(٢) «شعبان دميراي»: خبير في الشؤون الإيليرية الألبانية، وتعتبر معالجته لأصول اللغة الألبانية الأكثر شمولاً، وقد وردت في كتابه «النحو التاريخي للغة الألبانية» المكون من ١٢٠٠ صفحة، ومقسم إلى ٢٧ فصلاً، وقد أكد «شعبان» أثناء دراساته للوثائق القديمة الألبانية أن الاتصالات الكثيرة للغة الألبانية باللغات الأخرى، عبر القرون، أثرت في كلماتها، ولكنها لم تمس بنية النحو الألباني.. وحاول أن يبعد المشكلات الكثيرة والمعقدة فيما يتعلق باللغوية التاريخية للغة الألبانية، وأكد أن اللغة الألبانية تقع ضمن عائلة اللغات الهندوأوروبية، انظر: .Edwin Jacques: fq.: 40

(٣) ولد العالم النمساوي « غوستاو مير Gustav Mayer»، الخبير في اللغة الألبانية «Albanolog» في عام ١٨٥٠م، وكان أستاذاً في جامعة «غراس Grac» النمساوية، وتخصص في مجال الدراسات التاريخية للغات الهندوأوروبية، مثل: اليونانية، والتركية، والألبانية، كتابه الأساس: «مكانة اللغة الألبانية في دائرة اللغات الهندوأوروبية»، صدر (١٨٨٣م)، وبناء على دراساته العميقة التي أجراها خلال حياته توصل إلى النتيجة العلمية، التي تؤكد أن اللغة الألبانية منشأة من اللغة الإيليرية، وأنها تكون قسماً خاصاً في عائلة اللغات الهندوأوروبية، وتوفي في عام ١٩٠٠م، انظر: Edwin Jacques, fq.: 37

(٤) Prof. Shaban Demiraj: Gjuha shqipe dhe historia e saj, Rilindja, Prishtine, 1989, fq.: 147

ويؤكد «كرشمر» في كتابه «Einleitung»: أن اللغة الألبانيــة تمثــل المرحلة الجديدة للغة الإيليرية ... وأن الألبانيين يسكنون في أراضيهم الأصلية التي كانت القبائل الإيليرية تسكن فيها قديماً(١).

وتعتبر اللغة عند الألبانيين عاملاً رئيساً في تحديد الهوية العرقية لــدى القبائل الألبانية، ولهذا السبب يتلقى الألبانيون لغتهم كلغة قومية.. واللغــة الألبانية لا تتغير عند أهلها إلا في اللهجة حسب المناطق، شمال — جنوب(٢).

بدأت اللغة الألبانية منطوقة كغيرها من اللغــات، ثم تطــورت إلى أن وصلت مرحلة الكتابة في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، حيث بــدأ استخدام اللغة الألبانية المكتوبة لأول مرة من قبل القسسين؛ وكان من قبل تُستخدم الحروف اللاتينية، واليونانية(٣).

وقد وجد استخدام آخر لدى الألبانيين لكتابة لغتهم، وهــذه المــرة بالحروف العربية، وذلك بعد مجئ الدولة العثمانية(٤) إلى بلاد البلقان عامــة وإلى الأراضي الألبانية خاصة، لتأثر الألبانيين المسلمين الجدد بلغة القــرآن الكريم غاية التأثر حتى وصل كثيرون منهم إلى مــستوى كتابــة الأشــعار الألبانية بالحروف العربية، وبمهارة وحذاقة بارعة، وقد اشــتهر هــؤلاء إلى يومنا هذا باسم «بيتجيني Bejtexhinje» وتعني الشاعرين.

---

(١) Ibid., fq.: 149

(٢) Nuray Bozbora, Shqiperia dhe nacionalizmi shqiptar ne Perandorin Osmane, perktheu nga origjinali turqisht: Driton Egro, shtepia botuese DITURIA, Tirane, 2002, fq.: 29

(٣) Ibid., fq.: 29

(٤) Ibid., fq.: 29

ويرى «آلكساندر ستيبشويتش Aleksander Stipqevic» الخبير في التاريخ الإيليري – الألباني، حتى أنه يعرف بـ «Ilirolog» أي المتخصص في كل ما يتصل بالإيليريين، في تاريخهم ولغتهم وعاداتهم، أن اللغويين اليوم قد اتفقوا على عدم إمكانية التأكد التام من أن اللغة الألبانية منحدرة من اللغة الإيليرية لقلة النصوص الإيليرية وندرتها التي يمكن اللجوء إليها في هذا الشأن[١]. ويقصد العالم «ستيبشويتش» بكلامه أن اللغة الإيليرية لم تترك لنا كتابات ولا أوراقاً ولا وثائق مكتوبة باللغة الإيليرية حتى نستطيع أن نثبت الصلة بين اللغتين بالتأكيد.

ويضيف الأستاذ «ستيبشويتش»: ولكن حسب الدراسات، التي أجريت في المادة الموجودة لعلم أصول الكلمات وأشكالها المسمى بـ «Onomastics»، و«الطوبونيا Toponymy» (دراسات أسماء المواقع الجغرافية وأصولها) فإن اللغة الألبانية تعتبر منحدرة مباشرة من اللغة الإيليرية. وكل هذه الدلائل والحجج تبعد الفكرة القائلة بأن اللغة الألبانية تطورت من إحدى اللغات البلقانية الأخرى وتلغيها[٢].

ويترجح عندي الرأي القائل: إن اللغة الألبانية تنتمي إلى اللغات الهندوأوروبية وهي لغة مستقلة ومنحدرة من اللغة الإيليرية، وهذا يدل على أن الشعب الألباني ولغته أصليان في هذه المنطقة.

---

(١) Aleksander Stipqevic: Iliret, fq.: 72

(٢) Ibid., fq.: 72

الفصل الثاني

دور الدعاة في انتشار الإسلام في «كوسوفا» قبل العثمانيين

المبحث الأول

الوضع السياسي والاجتماعي في «كوسوفا»

أولاً: الوضع السياسي:

كانت القبائل الإيليرية قبل استقرارها في مناطق البلقان قبائل مترحلة، ولكن هذه القبائل بعد استقرارها في الأراضي البلقانية امتهنت الفلاحة، وألقت عصا الترحال، ويعتبر الإيليريون أول شعب استوطن المناطق البلقانية، وبمرور الزمن ازدادت أعدادهم وتوسعت دائرة انتشارهم، فشمل انتشارهم شواطيء البحر الأدرياتيكي، وتمكنوا من السيطرة على تلك الشواطيء، بحيث أصبحت معظم الأراضي البلقانية تحت سيطرتهم[1].

(١) رجب يشار بويا، الألبانيون (الأرناؤوط) والإسلام، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في كلية الدعوة، في قسم الدراسات العليا، والرسالة مطبوعة، ط١ (القاهرة: دار السلام، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م) ص ٢٤.

وبعد تكاثر أعــداد القبائل الإيليرية، كان من الضروري لتلك القبائل أن تبذل جهــودها لإيجاد نظام سياسي وإداري، يتوافــق مــع عاداتهــا وتقاليدها ويرتب شؤون حياتــها ويحل مشكلاتــها، ويجمعها كلها تحت راية واحدة، فكان لها ما أرادت قبل الميلاد بثلاثة قرون، ومــن ثم بــدأت معيشــة القبائل الإيليرية تسير وفق هذا النظــام القبلي.. وحــسب هــذا النظام كانت المرأة في بداية الأمر هي التي تحــكم، وبمرور الــزمن تحــول الحكم إلى الرجل[١].

وبناء على ما تقدم يمكن استنتاج أن القبائل «الإيليرية» كانت تعتمــد في بداية الأمر في تنظيم شؤونها المختلفة على قانون يصطلح عليه اليوم باسم «النظام القبلي»، وقد اهتموا بتحسين الأمور المعيشية، وتنظيم علاقــاتهم، وتنفيذ متطلباتهم، وتسهيل شؤونهم الاجتماعية، حتى تناصر القبائل بعــضها بعضاً، وفقاً لما تمليه الأعراف التي بني عليها هذا النظام.

وبعد الاحتلال الروماني للأراضي الإيليريــة التابعــة للآرديــانيين[٢] والأراضي التابعة لمقدونيا، وجه الرومان هجماتهم المكثفــة والــشديدة إلى حليفتهم الصديقة القديمة، ألا وهي «داردانيا» [٣]؛ غير أن المقاومة العسكرية لمملكة «داردانيا» كانت حاجزاً ومانعاً بصورة جدية للجيــوش الرومانيــة

(١) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٢) قبيلة إيليرية مشهورة.

(٣) Grup autoresh: fq.: 31

المستعمرة، وذلك خلال سنوات عديدة ومتتالية، وكان هدف الجيوش الرومانية الوصول إلى نهر «الدانوب – Danub»[1].

وبعد حروب طويلة ضد الرومان، فقد الداردانيون استقلالهم.. وباستيلاء الرومان على الأراضي الداردانية دخلت «داردانيا» تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية، وذلك في القرن الأول قبل الميلاد[2].

ودخلت المناطق الإيليرية تحت حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية، أوالإمبراطورية البيزنطية، نسبة لعاصمتها بيزنطة (القسطنطينية)، وذلك بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية في عام ٣٩٥م إلى قسمين: - الإمبراطورية الرومانية الغربية والإمبراطورية الرومانية الشرقية[3].

وتعتبر المناطق الإيليرية آخر الحدود للإمبراطورية البيزنطية في الجهة الغربية، ولذلك اضطلعت بدور مهم في العلاقات بين الشرق والغرب في تلك الفترة[4].

إلا أن الظروف الإيليرية بدأت تتغير من سيء إلى أسوأ عندما بدأ نزوح السلاف نحو جزيرة البلقان واستقرارهم فيها، حدث ذلك في بداية القرن السابع الميلادي، وفيها أسست دولهم الأولى، فمثلاً: «كارانتانيا Karantania» دولة السلوفنيين في القرن السابع، «كرواتيا Kroacia» في

Ibid., fq.: 31 (١)

Ibid., fq.: 32 (٢)

Ibid., fq.: 39. (٣)

Ibid., fq.: 39 (٤)

القرن التاسع، و«راشكا Rashka» دولة الصرب، في مدينة «راشـكا» في القرن الثامن، و«البوسنة Bosna» في القرن العـاشر، و«دوكلا Dukla» في الجبل الأسود في القرن الحادي عشر.. أما دولة الـسلاف في البلقـان الجنوبي، وهي التي أسست في أراضي مقدونيا القديمة، فقد أسست في القرن العاشر الميلادي وسميت بمقدونيا نسبـة للاسم القديم نفسه الذي كانـت تحمله المنطقة. ونتيجة لهذه الظروف الصعبة التي عاشها الإيليريون في ظـل حكم تلك الدول السلافية اضطروا للتخلي عن أعـراقهم والانتـساب إلى عرقيات سـلافية، مثل: السلوفنيين والكرواتيين والصربيين وأهـل الجبـل الأسود والمقدونيين[١].

وفي عام ٢٣٧هـ/٨٥١م استعمر البلغاريون أراضي «داردانيا» بعـد انتزاعها من البيزنطيين[٢].

وعندما وصل «استفان نيمانيا» إلى السلطة في «راشكا» في النـصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي وأسس الأسرة «النيمانية» بدأ سياسة نشطة لتثبيت حكمه وتقويته والتوسع على حساب الرومـان والبلغـار في منطقة البلقان، وسار على هذه السياسة خلفاؤه من أفراد أسرته «نيمانيـا» وتمكنوا من تحقيق نجاحات كثيرة، ففي عام ٥٨٠هـ/١١٨٥م دخلت تحت

---

(١) Skender Rizaj, Kosova gjate shekujve XV, XVI Dhe XVII, Rilindja, 1982, fq.: 1

(٢) Dr. Hakif Bajrami: fq.: 21

حكمهم ألبانيا الشمالية في الشمال الشرقي ومدينة «نيش» وبعض الأجزاء الكوسوفية؛ وفي الفترة ما بين عامي ٦١٣-٦١٧هـ/١٢١٦-١٢٢٠م احتلوا مدينة «بريزرن»، ثم دخلت الأراضي الكوسوفية كلها تحت حكم العائلة الصربية «نيمانيا» بعد ذلك التاريخ[١].

وبعد دخول «كوسوفا» تحت سيطرة أسرة «نيمانيا» الصربية، بدأ حكام هذه الأسرة وخاصة الملك: «إيستفان أوروش الثاني» (٦٨١-٧٢١هـ/١٢٨٢-١٣٢١م) والملك «إيستفان أوروش الثالث» (٧٢٢-٧٣٢هـ/١٣٢٢-١٣٣١م) والملك «إيستفان دوشان» (٧٣٢-٧٥٦هـ/١٣٣١-١٣٥٥م)، سياسة نشطة لفرض الثقافة الصربية على ألبان كوسوفا بشتى الوسائل[٢].

لم يرحب معظم الألبانيين بالانسلاخ عن هويتهم والاندماج في الثقافة الصربية ولكن الصرب أصروا على تنفيذ سياستهم وأصدروا قانوناً عرف بقانون «إيستفان دوشان» (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، ومن أهم بنود هذا القانون تلك البنود التي نصت على تعذيب الألبانيين الذين لا يقبلون التحول إلى الأورثوذكسية الصربية، ومصادرة أموالهم (أو سلبها منهم ووضعها في

(١) Kosova 22/23, 2000/2001, Instituti i Historisë, Prishtinë, 2003, fq.: 53.

(٢) Historia e popullit shqiptar: grup autorësh, akademia e shkencave e Shqipërisë – Instituti i historisë, Tiranë, BOTIMET TOENA, 2002, fq.: 247.

ميزانية الدولة الصربية)، أو وسمهم بحديد حام، أو ترحيلهم، أو تعذيبهم حتى الموت.. وتؤكد الوثائق الكثيرة لتلك الحقبة المعاملة القاسية للألبانيين من قبل الصرب بعد سن هذا القانون وتطبيقه، والاحتجاجات التي قام بها الألبان لدفع الظلم الصربي عنهم[1].

وقد وقعت أحداث مختلفة في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر أدت إلى تغيرات كثيرة في السياسة الصربية، وخاصة بعد وفاة الملك «أوروش Orosh» بحيث تفرقت الدولة الصربية إلى دويلات صغيرة[2].

فأراضي «كوسوفا» الحالية أضحت تحت سيطرة الملك «ووك برانكوويتش Vuk Brankovic» ووقعت مدنها التالية تحت حكمه: «بريشتينا Prishtina»، وهي عاصمة كوسوفا الحالية و«ووشتريا Vushtrria» و«تريبشا Trepca» و«بيبا Peja» و«نووبردا Novoberda»[3].

وبعد وفاة الملك «أوروش Urosh» الخامس ظهر على المسرح السياسي بمدينة «نوووبردا Novo Berda» مع ضواحيها الملك «كنيز لازار Knez Lazar»، وهو من أفراد ذلك البلد، وقد استغل وفاة أوروش

(١) Ibid., fq.: 248

(٢) إسماعيل سليمان أحمدي، الثقافة العربية في مقدونيا وقوصوى، من أوائل القرن الخامس عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر (رسالة ماجستير تمت مناقشتها سنة ١٩٧٨م بجامعة الكويت، غير مطبوعة) ص ٢٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٤.

والثروات الكثيرة التي كانت تتوافر عليها «نوووبردا» في فرض سيطرته والإعداد لاستعادة بقية أجزاء المملكة الصربية وتوسيعها، وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد[1].

بلغت المملكة الصربية قمة قوتها العسكرية بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر، حيث استطاعت أن تتوسع في الأراضي المجاورة لها من بلاد البلقان، تلك التي كانت تابعة لشعوب أخرى؛ وكانت أراضي «كوسوفا» جزءاً من تلك الأراضي التي استعمرتها جيوش الملك الصربي «دوشان»، وظلت تحت حكم المملكة الصربية حتى انهزمت قوات المملكة الصربية أمام قوات الدولة العثمانية، وكان ذلك في عام ٧٩٢هـ/١٣٨٩م[2].

ومنذ انهيار المملكة الصربية، كثيراً ما يزعم الصربيون أن الأراضي التي تكونت منها مملكتهم، والأراضي التي استعمروها عنوة أراض صربية خالصة، ويطلقون أوصافاً عجيبة على أراضي «كوسوفا» على وجه التحديد، حيث يعتبرونها أرضاً مقدسة للصرب؛ أما أهل «كوسوفا» بصفة خاصة وبلاد البلقان بصفة عامة فإنهم يعتبرون الصرب غزاة ودخلاء على بلادهم، وأن استيلاءهم على بعض أجزاء بلاد البلقان لفترة معينة من الزمن لا يعطيهم حقاً شرعياً في امتلاكها إلى الأبد حتى ينادوا بملكيتهم لها..

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٤- ٢٥.

(٢) محمد خليفة، الإسلام والمسلمون في بلاد البلقان، ط١ (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩٤م) ص ٤٠٣.

والجميع يعلم أن بلاد البلقان قد مرت بها وسيطرت عليها قوات أخرى متتالية غير صربية، مكثت فيها مدة طويلة تجاوزت أكثر بكثير من مدة المملكة الصربية، ولكن لا أحد منها قد تجرأ ليزعم ملكيته لها استناداً إلى سيطرته السابقة عليها، كما أن الانتشارات التي وقعت عبر التاريخ لتلك القوات في بلاد البلقان لا يمكن أن تثبت حقوقاً ثابتة ودائمة إلى الأبد.

وترجع ملكيات «الغير» إلى تلك القوات، لعدم وجود قوانين دولية تساند مثل هذه المزاعم وتعترف بها، ولأن منطق العقل لا يؤيدها، فمثلاً أقامت الإمبراطورية البلغارية العظمى في مناطق البلقان وتوسعت فيها وذلك قبل المملكة الصربية بقرون، فهل يعطي هذا الاستيلاء البلغاريين الحق في أن يطالبوا اليوم باسترجاع تلك المناطق أو أجزاء منها إلى سيادتهم؟ وكذلك نجد المقدونيين في تاريخهم القديم قد تمكنوا من السيطرة في عصر من العصور على كثير من الأراضي البلقانية، وهنا نطرح سؤالاً: هل يستحق أحفاد المقدونيين في يومنا هذا أن يطالبوا باستعادة ممتلكات أجدادهم، التي كانت تضم الشرق الأوسط وبلاد فارس أيضاً[1].

وبناء على ما سبق، فإن استيلاء المملكة الصربية على بعض المناطق من بلاد البلقان وخاصة أراضي «كوسوفا» الحالية لمدة وجيزة من الزمن لا يعطي الصرب حق الادعاء بامتلاكها؛ لأن مثل هذا الادعاء يفتح المجال أمام ادعاءات مماثلة لقوميات أخرى بسطت سيطرتها على هذه المنطقة

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٠٣- ٤٠٤.

ولفترة تفوق فترة الصرب بكثير وأعني بذلك العثمانيين، الذين كانت القوى العالمية تعترف بالسيادة الشرعية لهم على بلاد البلقان حتى مطلع القرن العشرين، وفي الواقع لا أحد يأخذ المزاعم الصربية مأخذ الجد في العالم كله إلا الصرب أنفسهم[1].

ثانياً: الوضع الاجتماعي:

كان المجتمع الإيليري كغيره من المجتمعات في القرون الوسطى مجتمعاً قبلياً، وكانت القبيلة لدى الإيليريين تتكون من عدة عائلات، وكانت العائلات الكبيرة تضم بداخلها عدداً من العائلات الصغيرة. ويعيش معظم الإيليريين في القرى والمناطق الجبلية العليا التي تتوفر لها الحماية بمجموعة من الحصون، ويتميز المجتمع الإيليري بأنه مجتمع منفتح؛ لأنه يسمح للفرد أن يختار زوجته من خارج القبيلة التي ينتمي إليها[2].

وكان للإيليريين جيش منظم تشارك فيه قبائلهم كلها، ولكل قبيلة قائدها الخاص الذي يتولى قيادة رجالها، وهناك قائد عام يتم اختياره بطريقة معينة يتولى الرئاسة لجميع القبائل الإيليرية، وكان القادة والرؤساء المحاربون يهتمون بتوفير السلاح الجيد وخاصة السيوف لأنفسهم ولجندهم، والدواب التي تأتي في مقدمتها الخيل، هذا إضافة إلى الأغطية الواقية للرأس؛

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٠٤.

(٢) رجب يشار بويا، ص ٢٤.

أما الملابس فلم تكن لهم ملابس خاصة بالحرب وإنما كـــانوا يرتـــدون في معظمهم ملابس مصنوعة من الصوف[1].

أما فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي، فقد بدأت البيئة الإيليرية تتحـــسن بمرور الزمن حيث تمكن سكانها الإيليريون من الوصول إلى أسرار التعـــدين والاستفادة منها في استغلال المعادن التي كانت تتوافر في بلادهـــم خاصـــة الحديد الذي سجل لهـــم التاريخ الريادة في استخدامه وتطويعه في أوروبا، فهم أول من استخـــدم الحديد في قارة أوربا، وفيما بعد استعملوا الفضة، فقد انعكست خبرات وقدرات الإيليريين في مجال التعدين إيجاباً على حياتهم، حيث تمكنوا من استحداث أدوات للعمل مثـــل المحـــراث والفـــأس.. إلخ، وتمكنوا من خلالها زيادة الرقعة الفلاحية وبالتالي زيادة الإنتاج، واســـتغلال الفائض منه في جلب احتياجاتهم من الأسواق المجاورة عن طريق تـــشجيع حركة التجارة[2].

أما عن الجانب الديني، فقد بدأت المسيحية تنتشر في المناطق الإيليرية منذ بداية القرون الأولى للميلاد، وفقاً للمذهب الكاثوليكي، ثم أصـــبحت ديناً رسمياً في بداية القرن الرابع للميلاد، وذلـــك في عـــصر الإمبراطـــور قنسطنطين[3].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٥.

(٣) Grup autorësh: fq.: 39, 40

وضعفت الإمبراطورية البيزنطية، التي كانت باسطة سيطرتها على بلاد البلقان، وبدأت محاولات بعض القادة البلقانيين الاستقلال عن بيزنطة، ولكن لسوء حظهم فقد استغل عنصر جديد ظهر لأول مرة على المسرح السياسي في بلاد البلقان، هذه الظروف التي كانت تمر بها بيزنطة وتمكن من إيجاد كيانات سياسية خاصة بها على حسابها وهي: المملكة الصربية، المملكة البلغارية وإمارة آربر[١]، وهذا العنصر هو العنصر السلافي وذلك في نهاية القرن الثاني عشر للميلاد، ثم سارعت الدولة الصربية المؤسسة في شمال مدينة «نووي بازار – Novi Pazar»[٢] إلى احتلال أجزاء كبيرة من ألبانيا وكوسوفا[٣].

وأثناء هذا الحكم أعطى الملك الصربي «استفان دوشان Stefan Dushan» امتيازات كثيرة للكنيسة الصربية، وقد أسس الملك الصربي كنيسة صربية مستقلة جعل مقرها في مدينة «بيبا Peja» (مدينة تابعة لكوسوفا الحالية) ونقل إليها مركز الكنيسة الذي كان في «شيج».. وقد ظلم المحتلون الصربيون السكان الكوسوفيين، وكان ذلك الظلم ظاهراً في «كوسوفا»، وتمثل في تعصب الصرب للمذهب الديني الأورثوذكسي

---

(١) Ibid., fq.: 31.

(٢) «نووي بازار Novi Pazar»: مدينة في صربيا الحالية، إلا أن معظم سكانها الحاليين من البوسنويين المسلمين.

(٣) Ibid., fq.: 43

واضطهادهم الوحشي للذين رفضوا اعتناق المذهب الأرثوذكسي الصربي والثقافة الصربية بصفة عامة، سياسياً واجتماعياً ودينياً[١].

بدأ الاضطهاد الديني والعرقي الصربي للألبانيين في «كوسوفا» منذ بدايات حكم الأسرة «النيمانية» الصربية التي كانت تسيطر على معظم أراضي «كوسوفا»، ومن ملوك هذه الأسرة الذين اشتهروا باضطهاد الألبان الكاثوليك الملك «ايستفان دوشان – Stefan Dushan» (٧٣٢ – ٧٥٦هـ / ١٣٣١ – ١٣٥٥م)، ويؤكد هذه الحقيقة ما ورد في إحدى مدونات هذا الملك،[٢] وهذا نصه: «... إذا كان هناك أحد لا يقبل أن يتحول ويرجع إلى الإيمان الصحيح – هكذا يسمي الصربيون الديانة الأورثوذوكسية – سيعاقب بالإعدام ...» [٣].

ويلاحظ أن النص السابق قد أظهر الخلاف بعبارات توحي أنه راجع إلى الاختلاف الديني، ولكن الحقيقة غير ذلك، لأن النزاع الديني قد تطور إلى نزاع عرقي[٤]، والنزاع الأخير أكبر خطورة من الأول، وكان أعظم أهداف المملكة الصربية هو إزالة آثار الشعب الألباني من خريطة البلقان والعالم كله.

---

(١) Ibid., p.: 45. Kosova 22/23, 2000/2001, Instituti i Historisë, Prishtinë, 2003, fq.: 53, 54.

(٢) Kosova: fq.: 55

(٣) Ibid., fq.: 56.

(٤) Ibid., fq.: 57.

ولكن الشعب الألباني لم يستسلم و لم تقعده شراسة الغـزاة الـصرب وضخامة إمكانياتهم المادية والبشرية وقوة آلتهم العسكرية، وإنما عمل على استغلال كل فرصة تتاح له في تنظيم صفوفه والتعبير عـن رفـضه لكـل المحاولات الرامية لمسخ هويته وتحويله عن عقيدته الكاثوليكيـة، وكانـت المظاهرات التي أعد لها مجموعة من الشخصيات الكوسوفية القوية من أبـرز الوسائل الاحتجاجية التي لجأ إليها، ولحسن حظ سكان البلقان الأصليين فإن الوجود الصربي في بلاد البلقان قد بدأ يفقد بريقه وقوته بعد وفـاة الملـك «دوشان» في عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، كما أن قوة جديدة قد ظهرت على المسرح السياسي البلقاني منافسة للصرب وهي القوة العثمانية، التي سرعان ما استغلت ضعف وتفكك الوجود الصربي في البلقان ولتحل محله.

ومن خلال تثبيت الأوضاع الاجتماعية لكوسوفا في ظـل الوجـود الصربي لاحظنا الآتي:

١- الاستعمار الصربي استعمار استيطاني:

تعرضت بلاد البلقـان قبل نزوح واستيطان العنصر السلافي الـصربي إليها إلى غزو الرومان ثم البيزيطيين واستعمارهم لها. وقد اهتم الاستعماران، الروماني والبيزنطي، بالجوانب الاقتصـادية من أجل توظيفهـا في تطـوير بلادهم الأصلية. أما البلاد التي استعمروها فلم تجد أي اهتمام منهم، خاصة وأن أعداداً قليلة منهم هي التي كانت تقيم في البلاد المستعمرة مـن أجـل إدارة دفة الحكم ومراقبة تنفيذ السياسات الاقتـصادية. أمـا المـستعمرون

السلاف الصرب فقد جاؤوا في شكل جماعات كثيرة، وانزاحوا في الأراضي البلقانية لكي يستقروا فيها دائماً وأبداً على حساب السكان الإيليريين الأصليين[1].

٢- تركيز الصرب على سياسة «أصربة» البلقان:

كان استيطان الصرب في بلاد البلقان وبأعداد كبيرة عملاً مدروساً ومقصوداً، فقد أراد الصرب أن يستأثروا بأراضي الألبان وخيراتها الوفيرة لأنفسهم، ولتحقيق هذا الهدف رسموا سياسة دقيقة ومحكمة تقوم على تحويل الألبان من المذهب الكاثوليكي إلى المذهب الأرثوذكسي، وإحلال الثقافة الصربية محل الثقافة الألبانية بالوسائل السلمية أو القمعية إذا لزم الأمر، وقد بدأوا تنفيذ هذه السياسة لدرجة أن أسماء الأماكن والمناطق البلقانية القديمة تم تحويلها إلى أسماء صربية[2].

---

(١) Kosova: fq.: 59, 61, 62, & Hysamedin Feraj: Skicë e mendimit politik shqiptat, Tiranë, SHTËPIA BOTUESE «KOHA», 1998, fq.: 40, 42.

(٢) Historia e popullit shqiptarë: fq.: 277.

المبحث الثاني

دور «البجناك» في انتشار الإسلام في كوسوفا

ظهرت الدعوة الإسلامية في بلاد العرب، وتمكن المسلمون في فترة وجيزة من فتح بلاد كثيرة وضمها إلى دائرة الإسلام. ونتج عن ذلك دخول شعوب وقبائل كثيرة في الإسلام، وفتح المجال أمام الأفراد والجماعات التي ضاقت بها سبل العيش في مناطقها، وتلك التي لها حماس زائد لنشر الإسلام وتثبيت أركانه في أماكن غير أماكنها؛ لأن الأرض في المصطلح الإسلامي ملك لله، وللمسلم الحق في الاستيطان فيها حيث شاء، ومن تلك الجماعات البجناكيون[1]، وسيتركز حديثنا عن البجناكيين حول الآتي:

أولاً: أصل «البجناك» ونشأتهم الأولى:

يعتبر تاريخ قوم «البجناك» غامضاً إلى حد بعيد؛ لعدم وجود كتابات وافية وكافية حولهم، فقواميس اللغة لم نجد فيها مادة مفيدة فيما يخص معنى كلمة «بجناك Peceneg»[2]، وهناك معلومات قليلة في بعض المراجع، فمثلاً

---

(١) Nexhat Ibrahimi: Islami ne trojet iliro-shqiptare gjate shekujve, Prishtine, 2000, fq.: 247

(٢) Nexhat Ibrahimi: Islami dhe muslimanët në tokat shqiptare dhe në ballkanin mesjetar, /shekujt IX–XIV/, Logos – A, Shkup – Prishtinë – Tiranë, 2003, fq.: 58.

ورد في الموسوعة البريطانية أن: «««البجناك» (Pechenegs or Patzinaks (lat. Bisseni) هم قوم في شرق أوروبا لعبوا دوراً مهماً في القرون الوسطى»[1].

وهناك من ذهب إلى أن «البجناك» هم قوم من أصل تركي، عاشوا حول البحر الكاسبيكي في القرن الثامن الميلادي تقريباً[2].

بينما نجد رحالة مشهوراً في القرون الوسطى ينتمي إلى الشمال الإفريقي ألا وهو إبراهيم بن يعقوب، زار مدينة «براغ Prag» في «شيكيا» في عام ٣٥٥هـ / ٩٦٥م، ولاحظ أن هناك قبائل شمالية كبيرة تتحدث اللغة السلافية ... ثم أورد من بين ما أورد منها اسم «بادشناك badshnak» (أي البجناك) [3].

وهناك رحالة آخر عاش في القرن العاشر الميلادي وهو «ابن داستا Ibn Dasta»، ذكر في كتابه «كتاب الكنز الهام»: «أن المسافة بين أرض «البجناك» والسلاف عشرة أيام مشياً»[4].

أما العالم «ي. غ. هردر J.G.Herder» فقد ذكر في كتابه: «الفكرة عن تاريخ البشر» أن «البجناك» مثل الشعوب الأخرى، كـ «زار Zar» و«آوار Avar» بذلوا جهوداً كافية في تأسيس الإمبراطورية الرومانية

---

(١) Ibid., fq.: 58

(٢) Ibid., fq.: 59.

(٣) Ibid., fq.: 59.

(٤) Ibid., fq.: 59.

الشرقية، وجهوداً جزئية أخرى في الرومانية الغربية وذلــك مــن خــلال مساعدتهم العسكرية وأحلافهم الشرقية أحياناً والغربية تارة أخرى[١].

أما المؤرخون العرب فإنهم يرون أن «البجناك» أصلهم من العــرب، يقول المؤرخ الرحالة المسلم أبو حامد الغرناطي الأندلسي: إن «البجنــاك» هم المغاربة[٢]، وحجته هذه تستند إلى معرفته العميقة لــصفات المغاربــة الجسمية والخلقية والمهنية، بحكم وجودهم في بلاده وقرب مناطقهم الأصلية منها، وإلى استخدام ملك المجر للمسلمين كجند مرتزقة في جيشه الذي كان يحارب به البيزنطيين، وإلى إقامته في المجر من سنة ١١٥٠م إلى سنة ١١٥٣م واحتكاكه بعدد من بقايا «البجناك»[٣].

وهناك آراء مختلفة بالنسبة لعصر ظهورهم في بــلاد البلقــان فــبعض الباحثين يرى أن «البجناك» ظهروا في القرن الثامن، وبعضهم الآخر يــرى أنهم ظهروا في القرن التاسع، وهناك طائفة تــرى ظهــورهم في القــرون المتأخرة، ولكن الرأي الراجح هو أنهم ظهــروا في نهايــة القــرن الثــامن الميلادي[٤].

---

(١) Ibid., fq.: 59

(٢) Nexhat Ibrahimi: Islami ne trojet iliro-shqiptare gjate shekujve, fq.: 248

(٣) Nexhat Ibrahimi: Islami dhe muslimanët në tokat shqiptare dhe në ballkanin mesjetar, /shekujt IX – XIV/, Logos – A, Shkup – Prishtinë – Tiranë, 2003, fq.: 101.

(٤) Ibid., fq.: 248, 251.

ثانياً: استقرار «البجناك» في الأراضي البلقانية:

تخبرنا بعض الكتابات التي تتعلق بـ«البجناك» أنهم بعد مجيئهم ومجيء الشعوب الأخرى إلى «بلغاريا» و«مقدونيا» والأراضي الأخرى في البلقان أسسوا مدناً وقرى هنالك(١).

ويعتقد بعض الباحثين الروس أن جماعة منظمة من «البجناك» ظهرت لأول مرة في هونغاريا (المجر) في القرن العاشر، وفي الحقيقة في عصر الملك البلغاري «سايمون – Simeoni»، الذي استغل «البجناك» في الدفاع عن بلاده ضد المجريين(٢).

وأورد المعلومة السالفة الذكر نفسها تقريباً العالم «غ. أوستروغورسكي G. Ostrogorski»، الذي أكد أن الملك البلغاري «سايمون» كان مهدداً من البيزنطيين والمجريين، ولا سبيل أمامه إلا الاستعانة بالشعب العسكري البدوي «البجناك»، وهم من سكان المنخفضات الجنوبية لروسيا، وبمساعدة «البجناك» استطاع «سايمون» أن يغلب المجريين ... وأن ينتصر على البيزنطيين في عام ٢٨٣هـ/٨٩٦م(٣).

---

(١) Nexhat Ibrahimi: Islami dhe muslimanet ne tokat shqiptare dhe ne Ballkanin mesjetar, /shekujt IX – XIV/, fq.: 61.

(٢) Ibid., fq.: 62

(٣) Ibid., fq.: 62

وبناء على وجهة نظر الباحثين الروس فإن «البجناك»، منذ القرن الحادي عشر وبأعداد كثيرة، قد تركوا السهوب(1) الروسية واستقروا في المجر وفي بيزنطة.. وإضافة إلى استقرار «البجناك» في بلاد البلقان فإن هناك مجموعات أخرى من المسلمين العرب والبلغار قد استقرت إلى جانبهم فيها(2). والعالم الجغرافي المسلم الأندلسي «أبو عبيد الله البكري» (عاش في القرن الحادي عشر الميلادي) قدم لنا معلومات مهمة تتعلق بـ«البجناك»، حين وصفهم هم والألمان والسيلزيان بأنهم جيران للسلاف(3).

ومن جانب آخر يؤكد العالم «ل. هاؤوبتمان Lj. Hauptman» أن هناك إشارات موجودة منذ ٣٣٧هـ / ٩٤٨ م تدل على المجاورة «الكرواتية – البجناكية»(4).

وهناك معلومات أخرى تقول: إن سبعة من المسلمين البلغار(5) هاجروا إلى البلاد المجرية واهتموا بالدعوة الإسلامية، ونتيجة لجهود هؤلاء المسلمين

---

(١) السهوب: مفردها سهب، وهو: سهل واسع خال من الشجر.

(٢) Ibid., fq.: 62

(٣) Ibid., fq.: 63

(٤) Ibid., fq.: 63.

(٥) «المسلمون البلغار» يقول العالم «غ. أوستروغورسكي»: إن البلغاريين شعب من أصول تركية، ويعتبر العالم البريطاني «نول مالكولم» البلغاريين قبيلة تركية؛ لأنهم كانوا يتكلمون اللغة التركية حتى القرن التاسع الميلادي، وفيه بدأوا ينخرطون في السلافية، ويسميهم العالم البوسنوي «آ. هوكينتش» قبيلة تركية تتارية، ثم تحولوا بعد ذلك إلى الثقافة السلافية بحكم غلبة السلاف عليهم وتركوا لغتهم التركية. وفي سنة ٨٥٦م اعتنق ملكهم المسيحية الأرثوذكسية وعمل على نشرها وسط رعاياه البلغاريين، انظر:
Nexhat Ibrahimi, Islami dhe muslimanet ne tokat shqiptare dhe ne Ballkanin mesjetar, /shekujt IX – XIV/, fq.:17, 19, 21, 24.

السبعة تكونت جماعة إسلامية في بلاد المجر أطلق عليها اسم «Pecenjega» (أي البجناك)، واستطاعت هذه المجموعة أن تقوم بدور عظيم في نشر الثقافة العربية الإسلامية في أوروبا الوسطى، بحيث انتشرت في بداية الأمر في الأراضي المجرية وذلك في القرن العاشر الميلادي، ثم بعد ذلك تمكنت هذه الجماعة من أن تصبح قوة عسكرية قادرة على الدفاع عن نفسها، وفي القرن الحادي عشر كانت تلك المجموعة من «البجناك» تقاتل من ضمن تشكيلة الجيش المجري ضد الإمبراطورية البيزنطية، وهناك أناس من سكان مدينة «سريم»[1] قد انضموا إلى هذه المجموعة الإسلامية «البجناك».

وإضافة إلى ذلك قدم لنا العالم أبو حامد الغرناطي الأندلسي معلومات قيمة تتعلق بهذه المجموعة، استقاها من خلال زيارته للبلاد المجرية في القرن الثاني عشر؛ ومما ورد فيها: أن كثيراً من المسلمين كانوا جزءاً لا يتجزأ من الجيش المجري في عديد من الحروب، التي وقعت بين المجر والإمبراطورية البيزنطية، وذلك خلال السنوات ٥٤٦- ٥٥٠هـ/١١٥١-١١٥٥م، وكانت المجر تسمح لتلك المجموعة الإسلامية بأن يمارس أفرادها شعائرهم الدينية دون أن يضغط عليهم أحد[2].

---

(١) «سريم» مدينة في «ويبوودينا – Vojvodina»، داخل جمهورية صربيا والجبل الأسود الحالية.

(٢) أيوب صدقي سلمان، الاستعراب في يوغسلافيا (رسالة ماجستير قدمت إلى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد، وهي جزء من متطلبات درجة ماجستير آداب في اللغة العربية، تشرين الثاني/١٩٨٤م – صفر/١٤٠٥هـ، غير مطبوعة) ص ١٣- ١٤.

وهناك باحثة سلافية هي «يووانكا كـــاليتش – Jovanka Kaliç»، درست رحلة أبي حامد الغرناطي، وأكدت قتال المجموعات الإسلامية التي ذكرها الغرناطي إلى جانب المجريين، ونسبت هــذه المجموعــة إلى مدينــة «سريم»[١].

ثالثاً: النشاط العسكري والتحركات الأخرى للبجناك في الأراضي البلقانية:

ظهر «البجناك» في منطقة البلقان، وتميزوا علــى غيرهــم بقــدراتهم العسكرية المتميزة، التي استفادت منها الدول التي تعاقبت على حكم البلقان، ومن بينها إيليريا وبلغاريا ومقدونيا وبيزنطة وثراقيا واليونان. أما «البجناك» أنفسهم فقد فقدوا العديد من رجالاتهم وهم يؤدون هذه الخـــدمات لهـــذه الدول. ولتسليط مزيد من الضوء على «البجناك» فضلنا أن ندرس بجنـــاك ألبانيا ودورهم الديني والاجتماعي والسياسي[٢].

رابعاً: البجناكيون والألبانيون:

نشأت فعالية «البجناك» العسكرية والثقافية في بلاد البلقان وخاصة في الأراضي الإيليرية – الألبانية في فترة كانت فيها هذه المناطق مستعمرة ولعدة قرون. ونتيجة لهذه الوضعية التي كانت تعيشها بلاد البلقان فإن البجناكيين لـــم يحدث بينهم وبين سكانـــها الأصليين أي احتكاك ثقافي أو عسكري

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٤.

(٢) Nexhat Ibrahimi: Islami dhe muslimanet ne tokat shqiptare dhe ne Ballkanin mesjetar /shekujt IX – XIV/, fq.: 63, 64.

أو تجاري ذي بال، وإنما كان احتكاكهم يتم وبصورة واضحة مع القوى والدول التي كانت مستعمرة للألبانيين وبلادهم[١].

فالإمبراطور البيزنطي «قنسطنطين Konstantin» الذي كان مهدداً بأخطار الأجانب، وخاصة الأتراك، حاول أن يستغل «البجناك» في التصدي لأعدائه فجند منهم عشرة آلاف، وزودهم بالأسلحة، ووجههم ضد الأتراك، ولكن «البجناك» لم يكونوا مؤمنين بتلك الحرب، والسبب الذي دفعهم إلى عدم مساندة الإمبراطور البيزنطي ضد الأتراك هو العقيدة الإسلامية التي كانت تجمعهم مع إخوانهم الأتراك، ولذلك استغلوا الفرصة وفروا باتجاه مدينة «بريزرن Prizren» الكوسوفية حالياً، وانضموا فيها إلى مجموعة أخرى من «البجناك» الذين استقروا فيها من قبل، وكونوا فريقاً مشتركاً تمكنوا في نهاية المطاف من أن ينقلبوا على أسيادهم المستعمرين[٢].

وقد ترك «البجناك» بصماتهم واضحة في هذه المنطقة، إلى جانب الشعوب التي سبقتهم أو جاءت بعدهم إليها كالكومان والكيبشاك، ويؤيد ذلك تلك الأسماء التي عرفتها منطقة البلقان في العصور الوسطى واستمرت إلى اليوم، ومنها: «بالابان Ballaban»، «بيليبان Biliban»، «تاتار Tatar»،

---

(١) Ibid., fq.: 72

(٢) Ibid., fq.: 72

«سوبلان Coplan»، «غوربـــان Gurban»، «كـــارا Kara»، «كارابـــا Karaba»، «كومـــان Kuman»، «شيـــشمان Shishman»، «توكمـــان Tokman»، «ساكان Caqan»، «بابون Babun»[1].

خامساً: إيمان البجناكيين وثقافتهم الإسلامية:

أدى اختراق «البجناك» والشعوب الأخرى لبلاد البلقـــان واســـتقرار مجموعات منهم لعدة قرون فيها إلى بعض التغيرات الديموغرافيـــة المحـــدودة وبالتحديد في الشمال لمدينة «نيش» الحالية، وفقاً لوجهة نظر العـــالم «ك. يرشيك K. Jireçek»[2]. كما أن الرحالة الذين جابوا تلـــك المنـــاطق في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين أكدوا وجـــود «البجنـــاك» في الأراضي البلقانية، وأنهم كانوا على دين الإسلام، وأنهم قد أثروا في الحيـــاة الاقتصادية والدينية[3]، وهو ما أكده بدوره المؤرخ والعالم البوسنوي «محمد حاجي ياهيج»[4].

وقد كان «البجناكيون» على معرفة ممتازة بالثقافة الإسلامية، واهتمام بالغ بالإسلام، وكانوا يرسلون طلاباً منهم إلى بلاد الشام وبالتحديـــد إلى

---

(١) Ibid., fq.: 73

(٢) Ibid., fq.: 74.

(٣) Ibid., fq.: 74.

(٤) Ibid., fq.: 74.

مدينة «حلب» لدراسة الدين الإسلامي ليقوموا بعد رجوعهم إلى أوطانهم بتبصير الآخرين بأمور دينهم، وبهذه الطريقة تمكن «البجناكيون» من حمل الثقافة العربية الإسلامية ونشرها في المناطق المجرية وفي يوغسلافيا السابقة وفي المناطق الأخرى من بلاد البلقان. واستطاعت هذه المجموعة الإسلامية أن تستمر وبفاعلية في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تلك المناطق إلى أن شعر ملوك المجر بخطورتهم على مستقبلهم السياسي فبدأوا في اضطهادهم وتعذيبهم وإبعادهم عن أماكنهم حتى أجلوهم عن بكرة أبيهم[١].

ويؤكد المستشرق الصربي «راد بوشوويتش Rade Bozhoviq» أن «البجناك» المسلمين قد نقلوا الثقافة العربية الإسلامية إلى البلقان، وهو في ذلك يتفق مع كثير من المؤرخين، ولكن عندما وصل العثمانيون المسلمون إلى بلاد البلقان لم يجدوا هؤلاء القوم المسلمين ولا آثارهم(!) ويبدو أن وصول الصرب إلى هذه المناطق البلقانية، في الفترة الممتدة بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين، قد أدى إلى هلاك «البجناك» ومحو آثارهم هنالك[٢].

---

(١) أيوب صدقي سلمان، ص ١٤.

(٢) Nexhat Ibrahimi: Islami ne trojet iliro-shqiptare gjate shekujve, fq.: 251

إذن، فإن الدين الإسلامي قد تمكن أن يجد طريقه إلى بلاد البلقان قبل أن يفتحها العثمانيون المسلمون، وليس من المستبعد أن يكون «البجناكيون» المسلمون من الدعاة المخلصين للدعوة الإسلامية، الذين حلوا ببلاد البلقان من أجل تبليغ الدين الإسلامي إلى شعوبها المختلفة، وإنهم لظروف ما قد اختفوا من مسرح الأحداث قبل ظهور العثمانيين في بلاد البلقان، ولكنهم قد خلفوا وراءهم آثاراً قوية فيما يتعلق بالإسلام والثقافة الإسلامية(١).

سادساً: اختفاء «البجناك» من بلاد البلقان:

بعد إبراز الدور الذي الذي قام به «البجناك» في بلاد البلقان يمكن أن نتساءل: هل يوجد اليوم أحد من الشعب البجناكي في بلاد البلقان؟ والجواب الصريح أنه لا يوجد أحد في بلاد البلقان ينسب نفسه إلى «البجناك»، ولكن هناك آثاراً موجودة للشعب «البجناكي». وقد اندثر الشعب «البجناكي» قبل مجيء الدولة العثمانية إلى بلاد البلقان، ويبدو أن الحروب التي دارت بينهم وبين البيزنطيين والمجريين والبلغاريين والصربيين والشعوب الأخرى قد أدت إلى هلاك معظمهم، وإلى تشريد من تبقى منهم، وتوزعهم على مناطق أخرى من العالم، بعيدة عن أماكن تمركز ونفوذ أعدائهم(٢).

---

(١) أيوب صدقي سلمان، ص ١٥.

(٢) Nexhat Ibrahimi: Islami dhe muslimanet ne tokat shqiptare dhe ne Ballkanin mesjetar/shekujt IX–XIV /, fq.: 76.

ويؤكد العالم الفرنسي «جورجس قستلان – Georges Castellan» محو قوم «البجناك» من المشهد التاريخي، مـــشيراً إلى أن: «الغاغـــاؤوزين Gagauzet» هم أخلاف البجناكيين الذين تحولوا إلى النصارى[1]. مما يعني أن البجناكيين قد اضطروا إلى التنصر والدخول في ديانات أعدائهم، علـــى الرغم من أن البجناكيين الأوائل كان مشهوداً لهم بـــالتمكن في الإســـلام والثقافة الإسلامية، حيث عُرفوا بقناديل الإسلام في بلاد البلقان عامـــة وفي الأراضي الإيليرية – الألبانية خاصة[2].

(١) Georges Castellan: Histori e Ballkanit (shekujt XIV – XX), perkthyer nga origjinali frengjisht: Arben Puto dhe Luan Omari, Prishtine, Botoi NGBGSH «GUTENBERG», 1997, fq.: 23.

(٢) Nexhat Ibrahimi: Islami dhe muslimanet ne tokat shqiptare dhe ne Ballkanin mesjetar / shekujt IX – XIV /, fq.: 77.

المبحث الثالث

دور الداعية «صاري صلتوق» في انتشار الإسلام في كوسوفا

شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يرسل إلى الأرض عدداً من الرسل في كل فترة من فترات التاريخ تتأزم فيها حياة البشر وتقف عقولهم عاجزة عن الوصول إلى حلول للمشاكل الكبيرة، التي تعترض حياهم وتعكر صفوها، وأن تكون مهمة الرسالات السابقة لرسالة النبي محمد ﷺ، بالإضافة إلى تنظيم حياة الأمم التي أرسل إليها هؤلاء الرسل، تهيئة البشرية لتقبل الرسالة الخاتمة، رسالة النبي ﷺ، التي خصها الله سبحانه وتعالى بصفات جعلتها قادرة على تنظيم الحياة بمختلف أنشطتها، والتصدي لكل المشكلات التي تعترض الحياة البشرية، وإيجاد الحلول المناسبة لها، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. وقد أولت الرسالة الخاتمة بعض الجوانب اهتماماً خاصاً تقديراً منها للدور الكبير الذي تضطلع به هذه الجوانب في خلق المجتمع الإسلامي المثالي واستمراره، ومن هذه الجوانب الدعوة إلى الإسلام، وهي واجبة على كل مسلم، وفقاً لقدراته واستطاعته، وقد وجدت الدعوة اهتماماً خاصاً من قبل الحكام والخاصة والعامة منذ ظهور الإسلام ودولته وإلى يومنا هذا.

وبالنسبة إلى المنطقة التي نحن بصدد دراستها، فمن الطبيعي أن تكون قد شهدت ظهور بعض الدعاة المسلمين قبل ظهور العثمانيين فيها وبسطهم سيطرتهم على أراضيها، وأن يكون معظم هؤلاء الدعاة من الأتراك بحكم الظهور المبكر للإسلام في تركيا وقرب هذه الأخيرة من بلاد البلقان.

وتتميز المرحلة السابقة للعثمانيين في بلاد البلقان باعتماد الدعوة الإسلامية على الجهد الفردي ووصول عدد لا بأس به من الدعاة المسلمين إلى الأراضي البلقانية، كالبجناكيين ، وكان من أبرز الدعاة الذين حلوا في بلاد البلقان في هذه الفترة الداعية «صاري صلتوق Sari Saltuk» وكان من أتباع الطريقة البكتاشية الصوفية السنية، التي تعتبر واحدة من الطرق الصوفية المنتشرة في أرض الإسلام وقتذاك، مثل الخلوتية والرفاعية... إلخ[1].

وقد ظهر البكتاشيون في الجزء الآسيوي للدولة العثمانية، أي في الأناضول، والمؤسس لهذه الطريقة الصوفية هو «الحاج بكتاش» المولود في إيران عام٦٤٧هـ/١٢٤٩م، ثم استقر في تركيا عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م؛

---

(١) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الثاني: إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلى؛ ترجمة صالح سعداوي (استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ١٩٩٩م) ص ١٣٧؛ سعيد عبد المجيد بكر، الأقليات المسلمة في أوروبا، سلسلة دعوة الحق، سلسلة شهرية تصدر في مطلع كل شهر عربي عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي، السنة الرابعة، العدد ٤٣، شوال ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، مكة المكرمة، ص ٩٠، ١٤٦؛ & Historia e popullit shqiptare: fq.: 593.

وقام مؤسس البكتاشية الحاج بكتاش بزيارة إلى الهند والتيبت والصين، وهنالك وقف على الاعتقادات البوذية والهندية[١].

ويعتبر الداعية «صاري صلتوق Sari Saltuk» أحد الأقطاب البارزين في البكتاشية، وأحد مبعوثي الحاج بكتاش إلى بلاد البلقان عامة بما فيها «كوسوفا»، وقد عُرف «صاري صلتوق» بمهاراته الخاصة، وبصبره النادر، وتنوع أساليبه في نشر الاعتقادات البكتاشية وسط البلقانيين، وقد استعمل البكتاشيون العديد من الوسائل لنشر الإسلام وفقاً لوجهة النظر البكتاشية، ومن بين هذه الوسائل تشييد التكايا[٢] لإيواء وإطعام المحتاجين[٣].

ومن التكايا التي شيدوها: التكية الموجودة في مدينة «بوغراديس Pogradec» الألبانية، وتكية في مدينة «ميتروويتسا Mitrovica» الكوسوفية، وتكية في مدينة «كاشانيك Kaçanik» الكوسوفية، الشيء الذي يدل على امتداد واسع لهذه الطريقة الإسلامية في الأراضي الألبانية عامة والكوسوفية خاصة[٤].

وهنالك رواية أخرى تقول: إن «صاري صلتوق» هو أحد تلاميذ الشيخ «أحمد يسوي» الصوفي التركي المشهور، وهذه الرواية تختلف مع

---

(١) Historia e popullit shqiptare: fq.: 593

(٢) «التكية» هي الكلمة التركية للزاوية، ومن معاني كلمة «تكية» بالتركية: الاتكاء، والتوكؤ، والاستناد إلى شيء للراحة والاستراحة. ومن هنا تكون التكية بمعنى مكان الراحة والاعتكاف، وهي كذلك زاوية يقيم فيها الدراويش والصوفية وتقدم فيها الوجبات مجاناً إليهم. انظر: .www.palestine-info.

(٣) Ibid., fq.: 593, 594

(٤) Ibid., fq.: 594, 595

الرواية القائلة: بأنه من أقطاب الطريقة البكتاشية ولكنها تتفق معها في أنه من أصل تركي[1].

فالداعية «صاري صلتوق» دخل الأراضي التي كانت تابعة للدولة البيزنطية ومن بينها بلاد الألبان قبل مجيء العثمانيين إلى هذه الأماكن مصحوباً بمجموعة من أتباعه، وهو داعية إسلامي من أصل تركي[2].

ويؤكد المؤرخ التركي «كمال قربات» هذه الحقائق قائلاً: إن الدعاة المسلمين الأوائل في البلقان من أصل تركي، ووصلت المجموعة الأولى منهم في القرن الثالث عشر الميلادي، رغم هذا إلاّ أن هناك مجموعات صغيرة، أقل نفراً منها، جاءت إلى الأراضي البلقانية في القرن العاشر والحادي عشر[3].

وفي الفترة ما بين عامي ٦٤٨-٦٥٩هـ/١٢٥٠-١٢٦٠م، استوطنت مجموعات من الأتراك وتركمان آسيا الصغرى في مدينة «دوبروج» (مدينة كانت تابعة لبلغاريا وقتذاك وهي تابعة لرومانيا الحالية)، وبدأت تمارس الدعوة الإسلامية فيها وفي المناطق المجاورة لها.. وهنالك رواية أخرى تقول: بأن «صاري صلتوق» كان من بين أفراد هذه المجموعة، وأن استيطالها في هذه المدينة تم في عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م[4].

---

(١) Nexhat Ibrahimi: Islami dhe muslimanët në tokat shqiptare dhe në ballkanin mesjetar/ shekujt IX – XIV/, Logos – A, Shkup – Prishtinë – Tiranë, 2003, fq.: 44, 45.

(٢) Ibid., fq.: 40, 41.

(٣) Ibid., fq.: 41.

(٤) Ibid., fq.: 44

وذكر الشاعر الألباني المشهـــور «إسماعيل قدارة – Ismail Kadare» في أحد مؤلفـــاته مجيء مجموعات مختلفة من الدعاة إلى بلاد البلقان، وذكر من ضمنهـــم الداعية «صـــاري صلتوق» ووصفـــه بأنه كـــان درويـــشاً تركياً بدوياً[١].

أما المؤرخ الألباني «أكرم بك ولورا Ekrem bej Vlora» فقد وصف الدعاة المسلمين، الذين جاؤوا إلى بلاد البلقان في الفترة التي ســبقت مجــئ العثمانيين، ومنهم الداعية «صاري صلتوق»، بأنهم متجولون و لم يمكثوا في مكان واحد، وإليهم يرجع الفضل في تهيئة بلاد البلقان لاستقبال الفـــاتحين العثمانيين[٢].

أما عن الاسم الحقيقي للداعية «صاري صلتوق»، فالموسوعة التركيـــة تسميه «مهمت» أي «محمد» وتقول: إنه عاش وجاهد في القرن الثالـــث عشر الميلادي في بلاد البلقان[٣].

وحسب رأي الدكتور «حسن قلشي» فإن الاسم الحقيقـــي للداعيـــة «صـــاري صلتوق» هو «إسمـــاعيل»، وأنه أحـــد تلاميـــــذ «الحـــاج بكتاش ولي»[٤].

---

(١) Ibid., fq.: 41

(٢) Ibid., fq.: 41

(٣) Ibid., fq.: 42

(٤) «Perparimi»: reviste kulturore dhe shkencore, nr:1, Prishtine, 1967, fq: 89.

أما الموسوعة الإسلامية المكتوبة من قبل الأوروبيين فتقول: إنه تركـــي وولي من الأولياء عند البكتاشية، وأصله من بخارى، واسمه الـــصحيح هـــو مهمد «محمد» البخاري[١].

وبعد وصول الداعية «صاري صلتوق» إلى الأراضي الرومية من بلاد البلقان وبمرافقة معاونيه، لاحظ أن المسلمين فيها يعيشون أوضاعاً اقتصادية صعبة، ويعانون من الاضطهاد الديني، فقام بتنظيم أتباعه ومن انضم إليه من المسلمين وكون منهم جيشاً منظماً ثم شن حرباً على الروم، وتمكن من فتح مدينة «إسكوبيا Shkup» التابعة لمقدونيا الحالية، ومدينـــة «دوبـــروج»، وعاقب «صاري صلتوق» نصارى تلك المناطق على جرائمهم التي ارتكبوها ضد المسلمين، ثم حول نشاطه إلى أماكن أخرى برغبـــة التوغـــل داخـــل الأراضي الأوروبية[٢].

وإلى جانب النشاط العسكري، فقد اهتم «صاري صلتوق» بتقـــديم النصح والإرشاد لعامة الناس وخاصتهم، وقد حفظ له التاريخ نصيحته التي قدمها إلى السلطان العثماني الغازي «عثمان الأول» وجاء فيها: كن عادلاً وصريحاً، ولا تجعل الفقير يلعنك، ولا تضغط على مؤيديك، وراقب قضاتك وولاتك بمهارة، واعمل بالقسط حتى تتمكن أن تسيطر بحكمك، وتحـــافظ على طاعة مؤيديك[٣].

---

(١) Nexhat Ibrahimi: Islami dhe muslimanët në tokat shqiptare dhe në ballkanin mesjetar/ shekujt / IX – XIV /, fq.: 42.

(٢) Ibid., fq.: 47.

(٣) Halil Inalxhik: PERANDORIA OSMANE, AZA – Tetove, 1995 M, 1415 H, fq.: 94

لقد شهدت الأراضي الألبانية نشاطاً دعوياً مكثفاً قام بـه «صـاري صلتوق» ومجموعته التركية، وبفضل هذا النشاط أصبح اسـم «صـاري صلتوق» معروفاً في البلاد الألبانية، وحملـت العديد من المعالم والأمـاكن اسمه، وعلى سبيل المثال ففي مدينة «كرويا – Kruja» في ألبانيـا الحاليـة يوجد جبل يبعد منها ٦٠٠ متر، يسميه الناس هنالك بـ «جبل صـاري صلتوق»، وفي أعلى هذا الجبل يوجد ضريح يسميه الناس بـ «ضـريح صاري صلتوق»[١].

وهذا الضريح الأخير ربما يعود تاريخه إلى عام ١١٠٤–١١٠٥هـ/١٦٩٢–١٦٩٣م[٢].

وكذلك في قرية «بريلب Prilep» التابعة لمدينة «جاكووا Gjakova» التابعة لكوسوفا الحالية بالقرب من النهر المسمى بـ «ريكا Reka» يوجد ضريح يسميه الناس بـ «ضريح صاري صلتوق» وقرية «بريلب» تبعد من مدينة «بيبا Peja» التابعة لكوسوفا الحالية بحوالي ١٧ كلم[٣].

---

(١) Nexhat Ibrahimi: Islami ne trojet iliro – shqiptare gjate shekujve, Prishtine, 2000, fq.: 240. /Nexhat Ibrahimi: Islami dhe muslimanët në tokat shqiptare dhe në ballkanin mesjetar/ shekujt IX – XIV/, fq.: 49./ «Perparim»., fq.: 92.

(٢) Nexhat Ibrahimi: Islami dhe muslimanët në tokat shqiptare dhe në ballkanin mesjetar/ shekujt IX – XIV/, fq.: 49.

(٣) Përparimi., fq.: 89

وكذلك ذكر المؤرخ الكوسوفي «اسكندر ريــزاي Skender Rizaj» أن ضريحاً يسميه الناس بـــ «ضريح صاري صلتوق» يوجد بــالقرب مـــن مدينة «بييا»، يزوره عدد كبير من المسلمين والنصارى(١).

ويرى العالم الكوسوفي الخبير في علم الجغرافيا «محـــرم ســـيرابرغ – Muharem Cërabreg» أن الضريح السابق الذكر الموجود إلى يومنا هذا، من أهم الضرائح في مدينة «بييا»(٢).

وعلى الرغم من المكانة التي حظي بها «صاري صلتوق» وسط أتباعه بصفة عامة وسكان البلقان بصفة خاصة، إلا أن هنالك مجموعة من النـــاس كانت تبطن له الحقد والكراهية، مدفوعة بعوامل كثيرة، وقد استغل بعض هؤلاء الأعداء الفرصة فقدموا له طعاماً مسموماً، وتجرأ أحدهم بطعنه بخنجر مما أدى إلى وفاته، وقد خلف «صاري صلتوق» ابنين هما إبراهيم ومحمـــد سارا على نهجه في الطريقة ثم انضما إلى الدولة العثمانية(٣).

---

(١) Nexhat Ibrahimi: Islami dhe muslimanët në tokat shqiptare dhe në ballkanin mesjetar/ shekujt IX – XIV/, fq.: 51.

(٢) Ibid., fq.: 51

(٣) Nexhat Ibrahimi: Islami ne trojet iliro – shqiptare gjate shekujve, Prishtine, 2000, fq.: 244

الفصل الثالث

الفتح العثماني لكوسوفا

المبحث الأول

التعريف بالعثمانيين

في المنطقة التي كان يُصطلح عليها قديماً بـ «ما وراء النهر» والتي يسميها الناس في يومنا هذا بـ «تركستان» استوطنت عشائر الغز وقبائلها العظمى، وعرفوا بالترك أو الأتراك[1].

وبمرور الزمن تكاثرت أعدادهم وضاقت الأراضي بهم والمراعي بمواشيهم وأغنامهم فاضطروا إلى البحث عن مناطق أكثر اتساعاً وغنى من منطقتهم، فوقع اختيارهم على منطقة آسيا الصغرى فارتحلوا إليها.. وهنالك من المؤرخين من يرى أن هذه القبائل قد اضطرت لترك مواطنها الأصلية أمام ضغط القبائل المغولية، التي تفوقها عدداً وقوة وعتاداً بالاتجاه غرباً، والاستقرار في بداية الأمر قريباً من شواطئ نهر «جيحون» ثم انتقلت إلى «طبرستان» واستقرت فيها لفترة من الزمن، ثم انتقلت إلى «جرجان»،

---

(١) علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط١ (بيروت: دار البيارق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ص ٢٥.

وألقت عصا الترحال بها. وفي عام ٢١هـ/٦٤١م سقطت الدولة الساسانية في أيدي المسلمين، وبذلك أصبح الوجود الإسلامي قريباً من المناطق التي استقرت فيها هذه القبائل التركية، وبدأت بعض العلاقات الحميمة تنشأ بين الجانبين بحكم الجوار[1].

وفي الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي ظهر المغول كقوة سياسية لها وزنها العسكري ورغبة عارمة في التوسع على حساب الدولة الإسلامية والدول الأخرى القائمة وقتذاك، وكان يقودهم «جنكيزخان»، وتمكنوا من بسط سيطرتهم على شمال الصين ثم زحفوا نحو «تركستان»، ولم يكن هنالك جيش بشري وقتذاك يمتلك القدرات العسكرية التي تؤهله للتصدي لهم. ثم توجهوا بعد ذلك نحو أرض الإسلام[2]، فهاجموا دولة «خوارزم شاه»[3] في ما وراء النهر وهي دولة إسلامية فلم تقدر على مقاومتهم، فاضطر أهلها وسكان المناطق المجاورة لها إلى الفرار إلى المناطق الأكثر أمناً.. ومن القبائل التي تأثرت بالزحف المغولي وتعرض وجودها للخطر القبائل التركية، فاضطرت مجموعات منها إلى مغادرة أوطانها

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٥- ٢٦.

(٢) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، ط٢ (دمشق: دار القلم، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ص ١٣.

(٣) «خوارزمشاه» الخوارزميون أو الخوارزمشاهات أو شاهات خوارزم: سلالة إيرانية حكمت في خوارزم (ما وراء النهر) ثم تركستان، أفغانستان، إيران وأجزاء من العراق، سنوات (١٠٧٧-١٢٢٠م). www.vikipedia.org.

والبحث عن أماكن أكثر أمناً وتوافراً على مقومات الحياة الأساسية، فاتجهت جهة الغرب نحو إيران[1].

واستقرت بمجموعات منها في العراق الشمالي وبعضها في غرب إيران وفي قفقاسيا[2] وبلاد الأناضول[3]. وبالنسبة إلى المجموعة التي استقرت في الأناضول فقد كانت بقيادة سليمان بن قيالب «جد عثمان مؤسس الدولة العثمانية» وكانت هجرتها من خراسان في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م، وكان استقرارها في الأناضول في مدينة «أخلاط»[4].. وفي عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م توفي سليمان وخلفه ابنه الأوسط «أرطغرل»، وفي عهده بدأت عشيرته والقبائل التركية المنضوية تحت لوائها، ويقدر عددها بحوالي مائة أسرة

---

(١) سالم الرشيدي، محمد الفاتح، ط ١ (طنطا: دار البشير للثقافة والعلوم، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ص ١٦؛ محمد حرب، ص ١٣.

(٢) قفقاسيا: هي عبارة عن المضيق البري الذي يبدأ من بحر قزوين شرقاً وبحر الآزاك غرباً ويمتد هكذا حتى البحر الأسود. تحدها شمالاً السهوب الروسية وجنوباً سلسلة جبال القفقاس والدهليز الذي شكله البحر الأسود. أما الجمهوريات القفقاسية فهي على التوالي من الشرق وباتجاه الغرب: داغستان، الشيشان، أنغوشيا، أوسيتيا، القبردي، بلقار، قراشاي، شركس والأديغة تقع قفقاسيا ما بين خطي العرض ٤١ – ٤٥ شمالاً وخطي الطول ٣٩ – ٤٨ شرقاً، كما تحتل مكاناً جنوب شرق أوروبا.. تبلغ مساحتها الإجمالية اليوم نحو ١٣٥ ألف كم٢.. ومن الجدير بالذكر أن مساحتها قبل الاحتلال الروسي كانت تقارب النصف مليون كم٢. أما تعداد سكانها المسلمين فهو زهاء خمسة ملايين نسمة.www.adiga.com.

(٣) محمد حرب، ص ١٣.

(٤) «أخلاط» مدينة في شرق تركيا الحالية قريبة من بحيرة وآن.

تضم أكثر من أربعمائة فارس[1] التحرك نحو الشمال الغربي للأناضول. وبينما هم في سيرهم شاهد «أرطغرل» من البعد جيشين يقتتلان وبعد تمعن وتدبر اتضح له أن أحد الجيشين على دين الإسلام وأن الجيش الآخر متفوق عليه في ساحة المعركة، فلم يتردد «أرطغرل» في دخول المعركة إلى جانب الجيش الإسلامي وبفضل بلائه وبلاء مجموعته في قتال الأعداء رجحت كفة المسلمين، وبعد أن ألقت الحرب أوزارها اتضح «لأرطغرل» أن الجيش الإسلامي الذي قاتل إلى جانبه هو جيش سلطنة قونية، التي تأسست بعد وفاة السلطان السلجوقي ملك شاه[2] في ١٥ شوال ٤٨٥هـ/١٨ نوفمبر ١٠٩٢م[3] وزوال دولة آل سلجوق، وكان سلطان قونية وقائد جيشها هو الأمير علاء الدين، أما الجيش المعادي لعلاء الدين فهو جيش البيزنطيين.

قدر قائد الجيش الإسلامي السلجوقي علاء الدين الموقف المشرف والبطولي لرئيس العشيرة التركية وفرسانه، فأقطعه عدداً من الأقاليم والمدن وقربه إليه، وجعله ذراعه الأيمن في كل حروباته ضد الروم. وكان بعد كل انتصار يحققه على أعدائه يجزل له العطاء ويمنحه العديد من الإقطاعات، الشيء الذي مكن «أرطغرل» من تكوين إمارة خاصة به ذات علاقة

---

(١) سالم الرشيدي، ص ١٦؛ علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية ... ، ص ٥١.

(٢) «شاه»، معناها ملك ولكنها إذا جاءت بعد الاسم فإنها تعني السيد .

(٣) بعد سقوط دولة السلجوقيين انقسمت أملاكهم في بلاد الأناضول إلى عشر إمارات صغيرة ومن ضمنها قونية التي كان يرأسها علاء الدين، ثم انضمت كل هذه الإمارات بعد ذلك إلى مملكة آل عثمان.

متميزة مع سلطنة قونية. وظلت هذه العلاقة قوية ومتينة حتى وفاة القائد التركي «أرطغرل» نة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م[1]. ثم خلف «أرطغرل» ابنه عثمان خان[2] الأول، الذي تنتمي إليه الدولة العثمانية، والمولود في عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وهو العام الذي هاجم وأغار فيه المغول على بغداد عاصمة الخلافة العباسية بقيادة «هولاكو» ووقعت فيه أحداث جسيمة ومصائب عظيمة[3].

ترعرع عثمان تحت رعاية أبيه، وتدرب على يديه عسكرياً، وتولى الحكم في عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، أي قبل عام واحد من وفاة السلطان السلجوقي علاء الدين، واستولى عثمان على المناطق التي فتحها أبوه وتلك التي افتتحها هو بنفسه، ويعتبر السلطان عثمان جداً للأتراك، وفي الوقت نفسه يعتبر مؤسساً للدولة العثمانية، ويسمى أفراد هذه الدولة بالعثمانيين. كان السلطان عثمان قائداً مرشداً، ومتديناً شجاعاً، ومرتبطا بسبيل الله عز وجل، وكان رجلاً مباركاً. وفي عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م توفي السلطان السلجوقي علاء الدين فأحدثت وفاته اضطراباً في دولته، ولكن معظم جيش السلطان السلجوقي قد اتجهت أنظاره إلى السلطان عثمان، باعتباره الحليف

---

(١) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط ٩ (بيروت: دار النفائس ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ص ١١٥؛ علي محمد الصلابي، السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض في عصره، ط١ (الإسكندرية: دار الإيمان، بدون تاريخ) ص ١٨-١٩.

(٢) «خان» لفظ تركي استعمله الأتراك قديماً ومعناه (السيد).

(٣) علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية ...، ص ٥٣؛ محمد فريد بك المحامي، ص ١١٦.

الأقرب إلى السلطان علاء الدين والقائد الأوحد الذي يمتلك الصفات والمؤهلات والمعدات التي تمكنه من توحيد الصف الإسلامي والتصدي للعدو البيزنطي، فانضموا إلى جيشه[١].

استأنف السلطان عثمان الحروب ضد الإمبراطورية البيزنطية وفتح كثيراً من أراضيها، والتحق كثير من المجاهدين من جميع أنحاء آسيا الصغرى بصفوف جيشه، كما ساعدت القبائل الأخرى من إخوانه الأتراك، وانضمت إلى جيشه جماعات كثيرة من العلماء والتجار والصناع[٢].

اهتم عثمان بتنظيم أتباعه وصهرهم في بوتقة واحدة، كما أولى اهتماماً خاصاً بتحسين علاقاته مع الإمارات التركمانية المجاورة لسلطنته[٣]، فكللت مساعيه بالنجاح، وبدأ اسمه يتردد على الألسن في هذه الإمارات باعتباره قائداً مسلماً مجاهداً في سبيل الله[٤].

فاستغل عثمان هذه الظرفية وبدأ في توسيع دولته، وتمكن من الوصول إلى شواطئ بحر مرمره والبحر الأسود وبلدة «يني شهر»[٥] عند

---

(١) Bajrush Ahmeti: Perandoria osmane dhe perhapja e islamit ne trojet shqiptare dhe ne viset fqinje, Prishtine, 1997, fq: 3-6.

(٢) علي حسون، العثمانيون والبلقان، ط٢ (بيروت ودمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص ٣٧.

(٣) مجموعة من الأساتذة، بإشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، نقله إلى العربية صالح سعداوي، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ١٩٩٩، بدون تاريخ، ص ١٠.

(٤) المرجع نفسه، ص٩.

(٥) «يني شهر» تعني بالتركية المدينة الجديدة، وهي بلدة تقع جنوب بحيرة إزنيق شمال غرب الأناضول.

مخاضة نهر سقاريا[1].

واتخذ مدينة «يني شهر» عاصمة لدولته، ودعا نفسه «بادشاه آل عثمان» وتعني (سلطان العثمانيين).. واستطاع السلطان عثمان أن يفتح العديد من المناطق في آسيا الصغرى من ضمنها مدينة «بروسه»[2] التي كانت تعتبر من أهم الحصون في آسيا الصغرى كلها[3].

وفي سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م مرض السلطان عثمان مرضه الذي توفي بسببه، وأوصى بالخلافة لابنه «أورخان» وأوصاه بالسهر لأجل الحفاظ على دولته وتوفير الأمن والاستقرار لرعيته[4].

ولد السلطان «أورخان» في سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م وهو الثاني من أبناء أبيه من حيث السن[5]. وقد اهتم والده بتنشئته وتربيته تربية تؤهله لأن يكون ساعداً له في حياته وخليفة له بعد مماته، وقد سار على سياسة والده نفسها في الحكم والفتوحات[6]، وحول السلطان «أورخان» عاصمته من

---

(١) علي حسون، ص ٣٧.

(٢) «بروسه» مدينة بآسيا الصغرى شهيرة بجودة هوائها وجمال مناظرها الطبيعية وبها مياه عديدة، وتعتبر من المدن الرئيسة لدى العثمانيين القدامى؛ لأنها ظلت عاصمة الدولة العثمانية من سنة ١٣٢٧ إلى سنة ١٣٦١، ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة «أدرنة»، ثم إلى مدينة «استانبول» سنة ١٤٥٣م.

(٣) سالم الرشيدي، ص ١٨.

(٤) إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ط١ (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ص ٤٥.

(٥) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ط٨ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ٨/٦٢.

(٦) علي محمد الصلابي، السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض في عصره، ص ٥٥.

مدينة «يني شهر» إلى مدينة «بورسه» واهتم بالعملة، فضرب عملة من الفضة وأخرى من الذهب، واهتم بالجيش فكون جيشاً جديداً أطلق عليه اسم (يني تشاري) وتعني العسكر الحديث، وكون هذا الجيش من أبناء الأسرى والأطفال الصغار الذين وقعوا في الأسر. وقد وضعت الدولة نظاماً خاصاً لإعداد هؤلاء الأطفال للحياة العسكرية يقوم على تنشئتهم تنشئة إسلامية في مدارس خاصة، ثم تدريبهم تدريباً عسكرياً بحيث لا يعرفون إلا الدين الإسلامي والحياة العسكرية والقتال والجهاد في سبيل الله، وليس هناك روابط قبائلية أو عشائرية فيما بينهم أو مع غيرهم، ولا ولاء لهم إلا للسلطان الذي يعتبرونه سيداً لهم.. وبفضل هذا الإعداد وبراعته اضطلعت الدولة العثمانية بدور مهم في الدفاع عنها وتوسيع رقعتها[1].

وفي عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م توفي السلطان «أورخان»، وله من العمر ثلاث وثمانون سنة، ودفن في مدينة «بورسه» بعد أن حكم الدولة العثمانية خمساً وثلاثين سنة (٧٢٦-٧٦١هـ/١٣٢٧-١٣٦٠م)، وكان السلطان قائداً مرشداً، ومؤمناً متواضعاً، اشتهر بحسن السلوك، وكان مجاهداً في سبيل الله سبحانه وتعالى، وقد بنى السلطان «أورخان» مساجد كثيرة ومدارس عديدة، ومؤسسات أخرى لخدمة رعاياه.. وبعد وفاة السلطان «أورخان» تولى الحكم ابنه وخليفته «مراد» الأول[2].

---

(١) محمود شاكر، ص ٦٤.

(٢) Bajrush Ahmeti: fq: 9

المبحث الثاني

مراحل الفتح العثماني لكوسوفا

أوجبت الظرفية التاريخية، التي ظهرت في إطارها الدولة العثمانية كقوة سياسية وموقعها الجغرافي، على حكامها أن يولوا اهتماماً خاصاً للجيش، وأن يتحروا العدل في أحكامهم والمساواة في معاملتهم مع رعاياهم. ويتضح ذلك في استخدامهم لفرقة جديدة في جيشهم وهي فرقة «الانكشارية» في عهد «أورخان» واهتمامهم بالجهاد وتوظيفهم له للتوسع على حساب الدولة البيزنطية[1].

وعندما آلت السلطة إلى السلطان مراد الأول في عام ٧٦١هـ/١٣٦٠م - ولد في سنة ٧٢٦ هـ/١٣٢٦م، وهي السنة نفسها التي تولى فيها والده حكم الدولة العثمانية، وقد اشتهر بالجهاد في سبيل الله عز وجل والاهتمام بالجيش والشجاعة وحسن التدين والكرم والعدل وبناء المساجد[2]- وضع خطة محكمة للتوسع تجاه الدول الأوروبية تقوم على التدرج في فتحها؛ ومن بين الأماكن التي خطط لفتحها «كوسوفا»، ولتحقيق هذا الهدف بدأ إرسال قواده إلى هذه الأماكن فأرسل قائده «لالا

---

(١) مجموعة من الأساتذة، ص ٩- ١٠؛ علي حسون، ص ٣٧؛ محمود شاكر، ص ٣٧.

(٢) إبراهيم بك حليم، ص ٥٧؛ علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية ... ص ١٠١؛ محمد فريد بك المحامي، ص ١٢٩؛ محمود شاكر، ص ٦٦.

شاهين»[1] لفتح مدينة مشهورة هي «أدرنه»[2]، وذلك في عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م وقد اضطر قائدها الرومي أن يسلمها إلى القائد العثماني السابق الذكر بعد أن تأكد من عدم جدوى المقاومة.. وفي سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م نقل السلطان مراد الأول عاصمته إلى مدينة «أدرنه» التي كانت تعتبر المدينة الثانية من حيث الأهمية في الإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية.. وكان هذا التحول في العاصمة لما يأتي:

- لأجل أهميتها الاستراتيجية ومناسبة موقعها الجغرافي من مسرح العمليات الجهادية في أوروبا.

- ليكون الجيش العثماني الإسلامي على مقربة من الجهاد في المناطق الأوروبية.

- لتمكين الجيش العثماني من مهاجمة القسطنطينية من الجهة الغربية؛ لأنها أقل تحصيناً من الجهات الأخرى.

وقد اهتم السلطان مراد بهذه العاصمة الجديدة فبنى فيها دوراً للموظفين، ومقرات للمؤسسات الحكومية المختلفة، ومدارس على الطراز

---

(١) «لالا» يذكر هذا الاسم أحياناً بـ «لالة» وبـ«لالا»، وأفضل استخدام الاسم الثاني وهو «لالا».

(٢) «أدرنه» مدينة في تركيا الحالية، واسمها باللغة الرومانية (أدريانا بوليس) نسبة للإمبراطور الرومي أدريان الذي أجرى فيها عدة من التحسينات أوجبت إطلاق اسمه عليها، وقد توفي هذا الإمبراطور في عام ١٣٨م؛ راجع محمد فريد بك المحامي، ص ١٢٩.

الإسلامي، ومعاهد لتدريس الجند الانكشارية، وبيمارستانات لعلاج المرضى، وثكنات للجند، وبيوتاً للعدالة...إلخ[1].

واستمرت مدينة «أدرنه» عاصمة للدولة العثمانية إلى أن فتح العثمانيون مدينة القسطنطينية في سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م واتخذوها عاصمة لدولتهم[2].

أدى الوجود العثماني في «أدرنه» إلى إدخال الرعب في نفوس الأمراء الأوروبيين المحادّين لهم، وإلى دفع هؤلاء الأمراء إلى الاستعانة بملوك أوروبا الغربية والبابا ضد العثمانيين المسلمين[3].

فوجدت استغاثتهم أذناً صاغية من البابا «أوربان الخامس»[4] الذي دعا إلى قيام حملة صليبية وباركها ضد العثمانيين، وانضم إليها ملوك الصرب والمجريون والبلغاريون، وكونوا جيشاً قدر عدده بستين ألف جندي لإخراج العثمانيين من أوروبا.. أما العثمانيون فقد جهزوا جيشهم وأسندوا قيادته إلى «لالا شاهين» لما علموا باحتشاد وتحالف النصارى ضدهم،

---

(١) محمود شاكر، ص ٦٨؛ محمد فريد بك المحامي، ص ١٢٩؛ علي محمد محمد الصلابي، ص ١٠١- ١٠٢.

(٢) علي محمد محمد الصلابي، ص ١٠٢.

(٣) محمود شاكر، ص ٦٩.

(٤) البابا «أوربان أو أوربانوس الخامس» يلفظ بالافرنسية Urbain واسمه الأصلي قبل أن يكون بابا هو Guillaume de Grimoare وهو فرنسي المولد، ولد سنة ١٣١٠م، ومات سنة ١٣٧٠م، وانتخب بابا سنة ١٣٦٢م؛ انظر: محمد فريد بك المحامي، ص ١٣٠.

وكانوا في عددهم أقـل من خصومهم، والتقى الجيـشان بـالقرب مـن «تشريمن» على نهر «ماريتزا»[1] في سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م، ودارت بينهما معركة حامية الوطيس انهزمت فيها الجيوش المتحالفة، وتكبـدت خـسائر فادحـة في الأرواح والمعـدات؛ وعُرفت هذه المعركة بمعركة «ماريتزا»، أما السـلطان مراد فقـد كان في هذا الأثناء مشـغولاً بالجهاد في بـلاد آسـيا الصغرى، وتمكن من فتح العـديد من المـدن ثم رجـع إلى مقـر سلطنته لوضع خطة لتنظيم ما فتحه من البلدان والأقاليم كما هـو شـأن الفاتح الحكيم[2].

والجدير بالذكر أن معركة «ماريتزا» تعد من المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام عامة وتاريخ الدولة العثمانية خاصة في أوروبا، فلو تمكن النصارى من الانتصار في هذه الموقعـة لأصبح بمقدورهم إخراج العثمـانيين مـن أوروبا ومواصلة الزحف نحو الأراضي الإسلامية في آسيا الصغرى وحـتى بيت المقدس[3].

---

(١) نهر ماريتسا Marica أو Maritza الذي ينبع من غرب بلغاريـا وبحـر اليونـان ويصب في بحر إيجه، وهناك بلدة في بلغاريا للذاهب بطريق البر مـن تركيـا إلـى صوفيا (عاصمة بلغاريا الحالية) سميت باسمه لقربها منه، وهي تبعـد عـن الحـدود التركية ١٦٣كم، وتبعد ١٧٠كم إلى الجنوب من صوفيا؛ انظـر محمـد فريـد بـك المحامي، ص ١٣١.

(٢) سالم الرشيدي، ص ٢٢؛ علي محمد محمد الصلابي، ص ١٠٢- ١٠٣؛ محمد فريـد بك المحامي، ص ١٣١.

(٣) سالم الرشيدي، ص ٢٢.

وهناك بعض النتائج التي أدى إليها انتصار العثمانيين على مقربة نهر «مارتيزا»، نوجزها في الآتي:

١- تم للعثمانيين فتح إقليم تراقيا ومقدونيا، وتمكنوا أن يصلوا إلى جنوبي بلغاريا وإلى شرق صربيا.

٢- أصبحت مدن الدولة البيزنطية وكثير من أملاكها وبلغاريا وصربيا تتساقط في أيدي العثمانيين كأوراق الخريف[1].

٣- أصبح العثمانيون على مقربة من الأراضي الألبانية عامة والكوسوفية خاصة.

عظم شأن الدولة العثمانية في أوروبا نتيجة لتلك الفتوحات والانتصارات العظيمة فخشي جيرانها، خصوصاً الضعفاء منهم، من ذلك التقدم العثماني السريع بحيث اضطروا إلى مراسلة العثمانيين طالبين مهادنتهم، وكانت أولى هذه الدول هي جمهورية «راجوزه»[2] التي أرسلت في سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م إلى السلطان مراد رسلاً طلبوا منه إبرام معاهدة ودية وتجارية معها مقابل تعهدها بدفع جزية سنوية قدرها خمسمائة

(١) علي محمد محمد الصلابي، ص ١٠٣.

(٢) «راجوزه Raguse» كانت بلدة يوغسلافية سابقاً، والآن هي بلدة كرواتية وتسمى اليوم بـ «دوبروفنيك – Dubrovnik» وتقع على شاطئ البحر الأدرياتيكي، وكانت هذه المدينة من سنة ١٤٠٣ إلى سنة ١٨٠٩م عاصمة لجمهورية أرستقراطية. وقد أثرت ثراء كبيراً من تجارتها مع الدولة العثمانية. وهي شبه قلعة مبنية على شاطئ البحر، انظر: محمد فريد بك المحامي، ص ١٣١.

«دوكا» ذهب له، وهذه أول معاهدة تعقدها الدولة العثمانية مع إحـــدى الدول المسيحية[1].

اهتم السلطان مراد الأول بمواصلة فتوحاته في أوروبا الشرقية، وفي سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م نجح في الوصول إلى نهر الدانوب، وتمكن من الانتصار في سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م على الجيوش الصربية والبلغارية المشتركة التي كانت تحاول باستمرار إيقاف تقدم العثمانيين في الأراضي الأوروبية، مما أجبر أمراء الصرب والبلغار على الدخول في طاعة السلطان مراد الأول، وعقد صـــلح معه التزموا بموجبه دفع جزية سنوية للدولة العثمانية[2].

انزعجت الدول الأوروبية انزعاجاً ظاهراً بهذا التقدم السريع للدولـــة العثمانية على حسابها، فقام الملك الصربي «لازار» بـــنقض العهـــد مـــع العثمانيين ومهاجمة مدينة «أدرنة» العاصمة العثمانية منتهزاً فرصة غيـــاب السلطان مراد الأول لانشغاله بفتوحات أخرى بالأناضول، ثم قام «سيسمان قرال»[3] أي أمير البلغار بالاستعداد للانضمام إلى جانـــب «لازار» ملـــك الصرب ولكن الوزير العثماني «علي باشا» - وهو أحد القواد العثمانيين - فطن للأمر وبادر بالهجوم على أمير بلغاريا، وتمكن الجيش العثماني الإسلامي

---

(١) محمد سهيل طقوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقـــلاب علـــى الخلافـــة، ط١ (بيروت: دار بيروت المحروسة، ١٤١٥هـــ/١٩٩٥م) ص٤٢؛ محمـــد فريـــد بـــك المحامي، ص١٣١، ١٣٢؛ وعلي محمد محمد الصلابي، ص ١٠٣.

(٢) محمد سهيل طقوش، ص ٤٢؛ سالم الرشيدي، ص ٢٣.

(٣) «قرال» كلمة تركية معناها الملك.

من فتح المدن البلغارية وإجبار الأمير البلغاري على الفرار إلى مدينة «نيكوبولي»[1] وإخماد محاولته بعد ذلك لمباغتة الجيوش العثمانية ثم أسره[2].

وحينما عرف ملك الصرب «لازار» بانكسار رفيقه ملك البلغار ومصيره تأهب بجيوشه باتجاه الغرب للانضمام إلى أمراء ألبانيا (الأرنؤد – الأرناؤوط) مثل الأمير «ذيميتر جونيما Dhimiter Jonima» والأمير «جرج بالشا Gjergj Balsha» المتحالفين مع البوسنيين والبلغاريين، الذين انضم إليهم جنود من بولندا والمجر وولاهيا (جزء من رومانيا الحالية) وشيك وفرانكيين (أوروبا الغربية)، والتوجه للتصدي للقوات العثمانية الإسلامية.. أما الجيوش العثمانية، التي يقودها السلطان مراد الأول وبصحبته مجموعة من القواد والوزراء فقد زحفت نحو بلاد البلقان، حتى وصلت إلى وسطها وبالتحديد الساحة المشهورة بكوسوفا الحالية، وتقع تلك المنطقة بالتحديد في الشمال الشرقي لمدينة «بريشتينا» الحالية (عاصمة كوسوفا)، وكانت أرض «كوسوفا» جزءاً من الأراضي الألبانية الواسعة[3]، وهنالك التقت قوات الشعوب المتحالفة في

---

(١) «نيكوبولي» مدينة اسمها بالرومية نيكوبوليس ومعناها مدينة النصر، أسسها الإمبراطور الروماني «تراجانوس»، المتوفى سنة ١١٧ بعد المسيح، عقب انتصاره على أعدائه، انظر محمد فريد بك المحامي، ص١٣٥ .

(٢) محمد حرب، ص ١٨– ١٩؛ محمد فريد بك المحامي، ص ١٣٤– ١٣٥.

(٣) بكر إسماعيل الكوسوفي، العلاقة بين اللغة العربية واللغة الألبانية وأثر ذلك في الدراسات اللغوية، ط١ (القاهرة: ٢٠٠٣م) ص ٨؛ محمد حرب، ص ١٨– ١٩؛ محمد فريد بك المحامي، ص ١٣٥؛ سالم رشيدي، ص ٢٤؛ Skender Rizaj: Kosova gjatë shekujve XV, XVI dhe XVII, fq.: 18, 19, و Noel Malcolm: fq.: 63.

٧٩٢هـ/ الخامس عشر من شهر حزيران عام ١٣٨٩م.. ومن الموافقات التي تذكر في هذا اللقاء هي أن وزير السلطان مراد الأول كان يحمل معه مصحفاً وفتحه عن غير قصد فوقع نظره على هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ (الأنفال:٦٥)، فاستبشر الوزير بالنصر واستبشر معه المسلمون، ولم يلبث أن نشب القتال بين الجمعين، وحمي وطيسه، واشتدت المعركة، واستمات الفريقان في القتال، الذي كان سجالاً بين الطرفين، وانكشفت الحرب في آخر الأمر عن انتصار المسلمين انتصاراً باهراً حاسماً، وانهزم الصربيون وحلفاؤهم [1]. وقد عرفت هذه المعركة بمعركة «كوسوفا».

وبعد الانتصار في معركة «كوسوفا» قام السلطان مراد الأول ليتفقد ساحة المعركة، وكان ذلك أثناء الليل وضوء الهلال والنجوم في السماء منعكسة على ساحة المعركة المغطاة بالدماء، ويقال إنه من هذا المنظر جاءت فكرة العلم العثماني – وهو علم أحمر الأرضية – ويزين هذا العلم الهلال والنجوم، وهذا العلم هو نفسه، علم جمهورية تركيا الحالية[2].

---

(١) علي محمد محمد الصلابي، ص ١٠٣– ١٠٤، بكر إسماعيل الكوسوفي، ص ٨؛ محمد فريد بك المحامي، ص ١٣٥؛ سالم الرشيدي، ص ٢٤؛ محمد سهيل طقوش، ص ٤٣؛ ومحمود شاكر، ص ٧٠.

(٢) علي محمد محمد الصلابي، ص ١٠٤؛ محمد حرب، ص ١٩؛ محمد سهيل طقوش، ص ٤٤.

وبينما السلطان مراد الأول يطوف مع رجاله بين القتلى والجرحى في ميدان المعركة إذ قام جندي صربي من بينهم اسمه «ميلـــوش كوبيلـــوفيتش Milosh Kopiloviq» وطعن السلطان بخنجر طعنة كانت هي القاضــــية، وسارعت سيوف الانكشارية إلى القاتل فقتلته على الفـــور[1] واستـــشهد السلطـــان مراد الأول في ١٥ شعبـــان سنـــة ٧٩١هــ الموافق يوم الإثنين ٩ أغسطس ١٣٨٩م، وهو يبلغ من العمر خمساً وستين سنة، وبلغت مـــدة حكمه ثلاثين سنة، ونقلت جثته إلى مدينة بورسة[2].

- نتائج معركة «كوسوفا»:

ترتب على معركة «كوسوفا» العديد من النتائج منها:

١- سقوط حركة المقاومة ضد العثمانيين في شرقي أوروبا.

٢- سقوط دولة الصرب والبلغار والأناضول في أيدي العثمانيين ومن ثـــمّ تبعيتها لهم.

---

(١) هناك من المؤرخين من يقول: إن الجندي الصربي كان قد تظاهر بـــالموت وأســـرع نحو السلطان فتمكن الحراس من القبض عليه، ولكنه تظاهر بأنه جاء يريـــد محادثـــة السلطان ويريد أن يعلن إسلامه على يديه، وعند ذلك أشار الـــسلطان للحـــرس بـــأن يطلقوه فتظاهر بأنه يريد تقبيل يد السلطان وقام في حركة ســـريعة بـــإخراج خنجـــر مسموم طعن به السلطان وتسبب في استشهاده، فاستـــشهد الـــسلطان مـــراد الأول، رحمه الله رحمـــة واسعة، في ســـاحة الجهـــاد، انظر: علي محمد محمد الـــصلابي، ص ١٠٤- ١٠٥.

(٢) علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية ...، ص ١٠٤؛ محمد حـــرب، ص ١٩؛ محمد سهيل طقوش، ص ٤٤؛ محمد فريد بك المحامي، ص ١٣٥- ١٣٦.

٣- توسع الدولة العثمانية الإسلامية في أوروبا وآسيا، وقد سهل ذلك الفرص أمامها للسيطرة على بلاد البلقان، وبالفعل تمكنت من فتح مدينة «اسكوبيا» المقدونية في سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م، وبسط سيطرتهم على الحدود العسكرية للأقاليم الغربية، وفتح كل المناطق والمدن الواقعة على الطريق المؤدية من مدينة «اسكوبيا» إلى الأراضي الكوسوفية، ووصلوا إلى إقليم «نووي بازار»[1] هذا وقد فتحت الأراضي الكوسوفية كلية من قبل العثمانيين في سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م[2] وأصبحت تابعة لهم إلى بداية القرن العشرين.

٤- بدأت موازين القوى تميل بشكل ملحوظ لصالح الدولة العثمانية في آسيا وأوروبا نتيجة للانتصارات الحاسمة، التي حققوها على الجيوش الأوروبية المتحالفة في كوسوفا[3].

- شخصية السلطان مراد الأول:

وصفه بعض المؤرخين بالعدالة والكرم، وكان محبوباً لدى رعاياه من النصارى الذين عاشوا في ظل حكمه؛ لأنه كان يعاملهم المعاملة التي أوصى

---

(١) «نووي بازار» نووي تعني باللغة الصربية الجديد، وبازار تعني باللغة التركية السوق، أي السوق الجديد، وهي مدينة في جمهورية صربيا والجبل الأسود الحالية، ومعظم سكانها من البوشناق المسلمين، وذلك منذ الفتح العثماني إلى يومنا هذا.

(٢) Skender Rizaj: Kosova gjatë shekujve XV, XVI dhe XVII, fq.: 19

(٣) محمد سهيل طقوش، ص ٤٤.

بها الشارع لجميع الطوائف من أهل الذمة، وهي معاملة أفضل من تلك التي كان البابا يعامل بها أتباعه[1].

وهناك من المؤرخين البيزنطيين وغيرهم من النصارى من مدح السلطان مراد الأول، من ضمنهم «هالكو نديلاس» الذي يقول: إن السلطان مراد الأول قام بأعمال مهمة كثيرة، إذ شارك في سبع وثلاثين معركة سواء كانت في الأناضول أو في البلقان، وخرج منها منتصراً، وكانت معاملته تجاه رعيته معاملة شفوقة[2].

ووصفه المؤرخ الفرنسي «كرينارد» قائلاً: إن السلطان مراد الأول كان من أكبر رجالات آل عثمان، وإذا قوَّمه أحدٌ منا تقويماً سليماً فسوف يجده في درجة أعلى من حكام الدول الأوروبية كلها في عصره[3].

ويبقى أن نذكر أن السلطان مراد الأول ورث عن أبيه إمارة كبيرة بلغت مساحتها ٩٥٠٠٠ كم٢، ولكنها عند استشهاده واستلام خليفته وابنه بايزيد الأول قد بلغت ٥٠٠٠٠٠ كم٢، وهذه المعلومة تبين أن الإمارة العثمانية قد زادت خلال تسع وعشرين سنة أكثر من خمسة أمثال ما تركها السلطان «أورخان» لولده مراد الأول[4].

---

(١) محمد حرب، ص ١٩.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٩.
(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠.
(٤) المرجع نفسه، ص ٢٠.

المبحث الثالث

أسباب التوجه العثماني لكوسوفا

بدأت حركة العثمانيين واتساع دولتهم نحو أوروبا بصفة عامة و«كوسوفا» بصفة خاصة لأسباب مختلفة، يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: الدعوة والجهاد:

بعد أن ثبَّت العثمانيون أقدامهم في آسيا الصغرى بدأت أنظارهم تتجه نحو المناطق الأوروبية المجاورة لهم، لأجل نشر الإسلام، وتوسيع رقعة دولتهم، والقيام بفريضة الجهاد، فتساقطت في أيديهم بعض أراضي الدولة البيزنطية وبعض بلاد البلقان كبلغاريا وصربيا ومقدونيا كأوراق الخريف(١)، وبعد فتحها بدأ الإسلام ينتشر في بلاد البلقان بشكل تدريجي.

ثانياً: موقع «كوسوفا»:

تحتل «كوسوفا» موقعاً جغرافياً استراتيجياً، فهي تقع في قلب بلاد البلقان، وهي بهذا الموقع تعتبر نافذة يمكن الإطلال من خلالها على بلاد البلقان الأخرى أو السيطرة عليها، ولهذا كان من الطبيعي أن تزحف الجيوش العثمانية نحوها بنية الاستيلاء عليها.

---

(١) علي محمد الصلابي، السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض في عصره، ص ٦٥-٦٦.

ثالثاً: مواجهة تمرد الصرب:

(في العام ٧٧٣هـ/١٣٧١م) عندما كان السلطان مراد الأول منشغلاً في آسيا استغل الصربيون الفرصة للهجوم على القوات العثمانية، التي كانت في أراضيهم، ولكنهم هزموا وأضاعوا كل ما كان لديهم.. ولأجل استئصال هذا التمرد والقضاء على قادته فإن السلطان مراد الأول استعد للحرب بتجهيز جيشه الآسيوي ومعه ابناه بايزيد ويعقوب، وفي أوروبا انضمت أجزاء جيشه إليه وجمع السلطان مراد الأول هذه الجيوش واتجه إلى المعركة ضد القوات المكونة من سبعة شعوب وهم: الصرب والبلغار والبجناك والألبان والرومانيون والبولنديون والمجر، وقد اجتمعت هذه الشعوب في سهل «كوسوفا» أو سهل الطيور السود كما يسميه المؤرخون كـ «كارل بروكولمان Karl Brokellmann» ووقف ملك الصرب وسط الجيش وفي يمينه «ووك برانكوويتش Vuk Brankoviq» [1] وفي شماله ملك البجناك «تورتكو Tvertko»، أما عن المسلمين فإن السلطان مراد الأول قد وقف

---

(١) انقسمت الإمبراطورية الصربية بعد وفاة «سار لازار» إلى عديد من الإمارات المستقلة، ومن بينها الإمارة التي استبد بحكمها «ووك برانكوفيتش» التي تشمل أجزاءً كثيرة من «كوسوفا»، «كبريشتينا» و«ووشتربيا» و«إزوتشان» و«بريزرن»، وبعد معركة «كوسوفا» اضطر برانكوفيتش أن يدفع الخراج للسلطان بايزيد الأول، واستمر على ذلك حتى وفاته، وبعد وفاته أعطى السلطان بايزيد الأول ممتلكات برانكوفيتش لعائلة سار لازار التي رضيت أن تكون خاضعة للسلطان. (هذه المعلومات مستفادة مباشرة من الأستاذ: ميلازم كراسنيتشي وهوأستاذ مشهور في كوسوفا).

في قلب الجيش وعلى يمينه ابنه الأمير بايزيد وعلى شماله ابنه الأمير يعقوب ثم بدأت المعركة وكانت عنيفة جداً وانتهت بهزيمة الحلفاء[1]، هذا وقد وقعت هذه المعركة في «كوسوفا» وهي أول معركة للعثمانيين داخل حدود «كوسوفا» الحالية.

رابعاً: سوء أحوال الأقلية المسلمة:

كانت أحوال الأقلية المسلمة في بلاد البلقان سيئة جداً قبل وصول العثمانيين إليها؛ لأنهم كانوا يتعرضون للأذى والاضطهاد من قبل أهالي البلقان – أي من الأرثوذكسيين – وهذا بالنسبة إلى الذين بقوا في البلقان، أما الآخرون الذين لم يصبروا على الاضطهاد فقد لاذوا بالفرار إلى المناطق المجاورة، إلا أن أحوالهم هنالك قد ازدادت سوءاً[2].

خامساً: سوء الأحوال في البلقان إبان الحكم البيزنطي:

ساءت أحوال البلقان في ظل حكم البيزنطيين، بسبب الضرائب الباهظة التي فرضها البيزنطيون على رعاياهم من البلقان، ولسوء موظفيهم وإدارييهم، وميلهم إلى الفساد والرشوة، وابتزاز الأموال، وازداد الأمر سوءاً عندما بدأ السلافيون محاولاتهم للاستيلاء على الأراضي البلقانية بقوة السلاح

---

(١) Bajrush Ahmeti: fq.: 11-13

(٢) Nexhat Ibrahimi: Islami ne trojet iliro – shqiptare gjate shekujve, Prishtine, 2000, fq.: 192, 193

والاصطدام بالبيزنطيين، ونتيجة لذلك رأى العثمانيون أن الفرصة مواتية لضم بلاد البلقان إلى ملكهم وتخليص أهلها من ظلم البيزنطيين(١).

سادساً: تثبيت الحكم العثماني في بلاد البلقان:

اهتم السلطان مراد الثاني باستقرار الأوضاع بالنسبة لبلاد البلقان بصفة خاصة وأوروبا بصفة عامة بعدما لاحظ ضعف الوجود الإسلامي والعثماني هنالك ومحاولة الصرب وحلفائهم لطرد المسلمين من أوروبا، فقام بتقوية الحاميات العثمانية وتزويدها بالزاد والعتاد ليضمن الحفاظ على بسط سيطرته عليها والتصدي للحركات المناوئة له، وقد كللت مساعيه بالنجاح، حيث اضطر ملك صربيا إلى الخضوع للدولة العثمانية والدخول تحت حكمها، ثم واصل السلطان مراد الثاني جهاده الدعوي، واستطاع أن يفتح ألبانيا سنة (٨٣٤هـ/١٤٣١م)، ولكن الأوضاع في ألبانيا لم تستقر لصالحه إذ انتفض عليه الألبان وتمكنوا من هزيمة جيوشه في جبال ألبانيا، وتكبيدها خسائر فادحة في الأرواح والمعدات وإجبارهم على الانسحاب.

وقد أدى النصر الذي حققه الألبان في هذه المعركة إلى ازدياد التأييد النصراني الأوروبي للجيوش الألبانية، ثم تعرض العثمانيون لمؤامرة أخرى من قبل الحلف الصليبي المكون من عدد من الدول الأوروبية، وكان هدفهم طرد العثمانيين من أوروبا كلية، وأوقع قائد الحلف الصليبي «هنيادي» (وهو

---

(١) Ibid., fq.: 193

مجري الأصل) بالعثمانيين هذه المرة هزيمتين فادحتين عام (٨٤٦هـ/١٤٤٢م) واضطر العثمانيون إلى طلب الصلح؛ وعُقد الصلح بينهما في شهر يوليو عام ٨٤٨هـ/١٤٤٤م لمدة عشر سنوات، وكتب الصلح باللغتين العثمانية والمجرية وأقسم «لاديساس» ملك المجر على الإنجيل كما أقسم السلطان مراد الثاني بالقرآن على الالتزام بشروط الصلح.

وبعد فراغ السلطان مراد الثاني من عقد الصلح فوجئ بموت ابنه الأمير «علاء» واشتد حزنه عليه وتنازل عن السلطة لابنه محمد الثاني، وكان إذ ذاك في الرابعة عشرة من عمره، فاستغل الصليبيون هذه الفرصة فنقضوا العهد، وقرروا مهاجمة العثمانيين وطردهم من أوروبا، فوصلت أخبارهم إلى السلطان مراد الثاني فقام على الفور بجمع جيوشه وإعدادها ثم تحرك مسرعاً نحوهم إلى أن أدركهم وبدأت المعركة بين الجيشين، النصراني والإسلامي، وكانت عنيفة جداً، واستطاع السلطان مراد الثاني، وفيِّ العهود، أن يلتقي مع الملك «لاديساس»، ناقض العهود، وجهاً لوجه واقتتلا، وبعد معركة عنيفة تمكن السلطان المسلم من قتل الملك المجري النصراني، ووقعت هذه المعركة بين المسلمين والصليبيين في سهول قوصوة (كوسوفا) في (٨٥٢هـ/ ٧ أكتوبر ١٤٤٨م) واستمرت ثلاثة أيام وانتهت بفوز ساحق للعثمانيين[1] وهذه هي المعركة الثانية التي وقعت في أراضيَ «كوسوفا» الحالية.

---

(١) علي محمد الصلابي، السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض في عصره، ص ٩٤- ٩٨.

سابعاً: السيطرة على موارد «كوسوفا» الاقتصادية:

كانت كوسوفا تضم مدينة تسمى «نوووبردا Novoberda» تعتبر في ذلك الحين أكبر المراكز التجارية والاقتصادية والثقافية، كما كان عدد سكانها يصل إلى ٥٠٠٠٠ نسمة، ولهذا كانت تقارن في أوروبا مع استانبول في هذا الجانب[1].

فالسلطان محمد الفاتح اهتم بفتح هذه المدينة الغنية، التي تتوافر على معادن كثيرة كالذهب والفضة، وكان السلطان محمد الفاتح في أمسّ الحاجة إليها لتنظيم وتثبيت فتوحاته في أوروبا، ولهذا ليس من قبيل المصادفة أن يبدأ السلطان محمد الفاتح بعد فتحه للقسطنطينية مباشرة في الاستعداد لفتح هذه المدينة، ففي عام.. ٨٦٠هـ/١٤٥٥م اتجه السلطان نحو «كوسوفا» بجيشه الكبير الذي كان يتجاوز ذلك الجيش الذي جهزه لفتح القسطنطينية. وهنالك روايتان فيما يتعلق بفتح مدينة «نوووبردا»، الرواية الأولى تقول: إن السلطان استطاع أن يفتحها خلال أربعين يوماً، وكان عدد القتلى في هذه المعركة كبيراً في الجهتين، أما الرواية الثانية فتقول: إنها استسلمت في ٨٦٠هـ/١حزيران ١٤٥٥م.. وبعد فتح هذه المدينة بدأت المدن الكوسوفية تتساقط في أيدي العثمانيين[2].

---

(١) Ibid., fq.: 34-35

(٢) Ibid., fq.: 35

ثامناً: الاستجابة لرغبة البلقانيين بصفة عامة والكوسوفيين بصفة خاصة:

وصف الرحالة العثمانيين في القرن الخامس عشر الميلادي بأنهم قوم ذوو خلق، وأصبح الشعب العثماني في الأوساط البلقانية مثالاً للفضائل، أي للشعب الذي يطبق العدالة الاجتماعية. وكان أهل البلقان يتمنون وصول العثمانيين إليهم أكثر مما كان يتمنى العثمانيون أنفسهم[1]؛ وذلك لتصحيح الاعوجاج والاستغلال، والفساد الأخلاقي الذي عم بلادهم، بسبب فساد رجال الدين، واستغلال الحكام والارستقراطيين لعامة الناس، وتسخيرهم لخدمة مصالحهم.

---

(١) Muhidin Ahmeti: Rrethe perhapjes se islamit nder shqiptaret, fq.: 52

المبحث الرابع

استيلاء العثمانيين على كوسوفا ونواحيها

بعد أن انتصر العثمانيون في معركة «كوسوفا» شرعوا في ضم بقية الأماكن والمدن الكوسوفية إلى دائرة نفوذهم، وقد كانت مدينة «نووبردا» الكوسوفية من ضمن المدن الكبرى للدولة العثمانية[1]، وكانت تعد من المدن العظيمة بثرواتها الثمينة، ثم تمكن العثمانيون من فتح مدينة «بريزرن» الكوسوفية في عام ٨٦٤هـ/١٤٥٩م وتشرف السلطان محمد الفاتح بفتحها بنفسه، وفتحت مدينة «بييا» الكوسوفية في عام ٨٦٧هـ/١٤٦٢م.

وهناك عدة عوامل ساعدت في التقدم السريع للدولة العثمانية في بلاد البلقان عامة وفي «كوسوفا» خاصة، وأهمها كالآتي:-

أولاً: عداوة الناس فيما بينهم وخاصة الأغنياء.

ثانياً: اضطراب الجانب الديني في البلقان، وفي الدول الأوروبية كذلك.

ثالثاً: اشتهار العثمانيون بالتسامح والاحترام لأصحاب الديانات الأخرى واحترام أماكنهم المقدسة، وإتاحة الحريات لهم لممارسة شعائرهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم، وحسن المعاملة والمساواة في الحقوق والواجبات بالنسبة للذين دخلوا في الإسلام مع إخوانهم العثمانيين[2].

---

(١) Dr. Skender Rizaj: Historia e pergjithshme – Koha e re (1453-1789), Prishtine, 1985, fq.: 9

(٢) Ibid., fq.: 17, 18

أما عن تقويم أحوال «كوسوفا» بصفة خاصة وبلاد البلقان بصفة عامة في ظل الحكم العثماني فالمؤرخ البريطاني المعاصر «نويل مـــالكوم – Noel Malcolm» ذكر في كتابه المسمى بـــ «مختصر تاريخ كوسوفا»: أن معظم سكان الدول البلقانية ينظرون إلى العثمانيين كهمجيين آسيويين، بما أفسدوا في المناطق التي استولوا عليها، وأفسدوا الثقافة الشعبية، التي كانت مزدهرة قبلهم في بلاد البلقان، وفرضوا عليها نظام حكم مخالف لما كان سائداً فيها، وعملوا كل ما في وسعهم لمسخ الهوية المحلية، وفرض هويتهم عوضاً عنها، وتغيير الخريطة الديموغرافية بتهجير مجموعة كبيرة من بني جلدتهم وتوطينهم وإعطائهم إقطاعات وامتيازات على حساب السكان الأصليين، وأكرهـــوا النصارى للتحول للإسلام، ومارسوا عليهم كل أنواع الظلم والاضـــطهاد، وحولوهم إلى عبيد للأرض.

ولكن «نويل» نفسه لم يكن مسانداً لوجهة النظر هذه، لأنه يعتبرهـــا متطرفة ولا تمت إلى الواقع بشيء[1]؛ فهو يرى أن الحكم العثماني للبلقان في السنوات المبكرة، على الأقل، وإلى نهاية القرن السادس عشر، كان حكماً منظماً، والرؤية السلبية للحكم العثماني بأنه حاول إلغاء الهوية الذاتية الشعبية للبلقانيين في تلك الفترة المبكرة من الزمن رؤية ليس لها معنى؛ لأن الرؤيـــة المعاصرة للهوية الذاتية الشعبية لم تكن حاضـــرة في هــــذا الجــــزء الأوروبي

---

(١) Noel Malcolm: fq.: 96.

وقتذاك، وأن المستعمرات الاستيطانية التركية كانت ظاهرة نادرة في البلقان، ومحدودة، وتوجد فقط في بعض المناطق من بلغاريا وثراقيا ومقدونيا، ولا وجود لها في كوسوفا وألبانيا والمناطق السلافية في الشمال، وأن العثمانيين بدلاً من أن يحولوا القرويين إلى عبيد للأرض فإن القرويين البلقانيين، في الحقيقة، قد حصلوا أثناء الحكم العثماني على حقوق أكثر في علاقاتهم مع ساداتهم.

أما فيما يتعلق بالتسامح الديني فقد سمح العثمانيون للكنائس المحلية الأرثوذكسية أن تستمر فيها بقيادة مؤمنيها[١]، وأن تؤسس محاكم خاصة بها، وتتولى الإشراف عليها للنظر في مشاكل معتنقيها وفقاً لقوانينها، وأُعطيت طائفة اليهود الامتيازات السابقة نفسها[٢].

وعلاوة على ما سبق، فقد فتح العثمانيون أبواب الانخراط في الوظيفة العمومية، والتدرج فيها إلى أعلى الدرجات للألبانيين وفقاً لمؤهلاتهم العلمية ومهاراتهم المهنية، وقد انتهز الألبانيون هذه الفرصة ووصل منهم اثنان إلى منصب الصدر الأعظم «رئيس الوزراء» في القرن الخامس عشر الميلادي وهما «غديك أحمد باشا Gedik Ahmed Pasha» و«داوود باشا Daut Pasha»،

---

(١) Ibid., fq.: 96, 97.

(٢) Ibid., fq.: 98.

أما العدد العام للصدور العظام الألبانيين في تاريخ الدولة العثمانية بما فيهم ألبان كوسوفا فقد وصل إلى اثنين وأربعين صدراً أعظماً[١].

أما المناصب الإدارية والاقتصادية والعسكرية فقد كانت طيلة الحكم العثماني بأيدي الألبانيين، وهذا يعني أن العثمانيين لم يتدخلوا في سير الشأن الداخلي، الأمر الذي أدى إلى تلاشي المقاومة الألبانية للحكم العثماني[٢]، وفوق هذا وذاك أدى استيلاء العثمانيين على الأراضي «الكوسوفية»، واستقرار حكمهم إلى إنهاء الحكم الصربي، وإلغاء أصول الحكم الديني الأرثوذكسي، أي الحكم الذي كانت تتولاه الكنيسة الأرثوذكسية الصربية ضد الشعب الألباني، وسهل استيلاء العثمانيين انفصال الكوسوفيين من الكنيسة الأرثوذكسية وانتقالهم من الحكم الصربي إلى الدين الإسلامي[٣].

---

(١) Ibid., fq.: 99.

(٢) Hysamedin Feraj: Skice e mendimit polotik shqiptar, shtepia botuese «KOHA», botimi i pare, Tirane, 1998, fq.: 49, 66

(٣) Muhidin Ahmeti: Rrethe perhapjes se islamit nder shqiptaret, PENDA, Prizren, fq.: 106

الفصل الرابع

«كوسوفا» تحت سيطرة العثمانيين

المبحث الأول

وسائل العثمانيين لنشر الإسلام في «كوسوفا»

من بين مشاكل دراسة تاريخ «كوسوفا» بحدودها الحالية قضية انتشار الإسلام بوساطة العثمانيين فيها[1] منذ ظهوره فصاعداً، وهناك أمور كثيرة تتعلق بانتشار الإسلام تحتاج إلى توضيح منها: ما هي أشكال عملية انتشار الإسلام؟ وما هي الوسائل التي استخدمها العثمانيون لنشر الإسلام في بلاد البلقان بصورة عامة وفي «كوسوفا» بصورة خاصة؟ وما هي أحوال سكان «كوسوفا» المعيشية وظروفهم بعد وصول المد الإسلامي إليهم؟ وهل هناك فرق في أوضاع سكانها الألبان قبل انتشار الإسلام فيها وبعده؟ للإجابة عن هذه التساؤلات استعنت بأقوال المؤرخين المسلمين وغير المسلمين، ألبانيين كانوا أم غير ألبانيين، وذلك لكي تظهر الحقيقة بارزة وناطقة أمام الجميع.

---

(١) إسماعيل سليمان أحمدي: ص ٤٤-٤٥.

إن الوثائق والمصادر المتوافرة تؤكد تأكيداً تاماً بأن الاستقرار الكامل للنظام الإقطاعي[١] العثماني في الأراضي الألبانية عامة والكوسوفية بصورة خاصة فتح فرصاً جديدة لتوحيد القومية الألبانية سياسياً وثقافياً، ولكن هذه المرة تحت لواء الدين الإسلامي وحضارته المتقدمة[٢].

كانت الدولة العثمانية بحكم كونها دولة إسلامية تعطي الأقلية الدينية غير المسلمة القاطنة داخل حدودها والمعترفة بسلطتها عليها الحق في الاحتفاظ بدينها وممارسة شعائرها الدينية، نظير دفع إتاوة سنوية وهي «الجزية»، التي هي في الأساس تعتبر مقابلاً للحماية التي كانت تتمتع بها هذه الأقلية تحت ظل الحكم العثماني، وهكذا نلاحظ أن الحكم العثماني لم يستخدم الضغط المنظم والمباشر لاستئصال جذور الدين الموجود (المسيحي) وتبديله بالدين الإسلامي لا في ألبانيا ولا في «كوسوفا» [٣]، هذا وقد بدأ الإسلام في الانتشار بشكل أوسع عند وصول الأتراك العثمانيين إلى الأراضي الكوسوفية، أي في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الميلادي على الأرجح[٤]، فمنذ ذلك الحين بدأ الدين الإسلامي يشق طريقه في أوساط

---

(١) النظام الإقطاعي العثماني: هو نظام ملتزم بمبادئ الإسلام، ويختلف عن النظام الإقطاعي الأوروبي، لأن الإقطاعيين العثمانيين لم يعتبروا العمال عبيداً لهم، مثلما كان الحال في النظام الإقطاعي الأوروبي في القرون الوسطى.

(٢) Dituria islame: Revistë mujore fetare kulturore shkencore, viti XIII, NR.100, Shkurt 1998, fq.: 55.

(٣) Historia e popullit shqiptarë: fq.: 596

(٤) أيوب صدقي سلمان، ص ١٨.

تلك الشعوب، وبدأت هذه الشعوب في التعرف على مبادئ الدين الجديد، وعلى أصحابه الذين كانوا يتوافرون على صفات حميمة وأخلاق حميدة وآداب جميلة، فوجدت مجموعات منهم ضالتها فيه فدخلت فيه، ثم توالى بعد ذلك دخول المجموعات الأخرى بعد ما شاهدت التحسن الواضح والملحوظ الذي حدث في حياة إخوانهم الذين دخلوا في الإسلام[١].

وإلى جانب الخصائص والمميزات التي يتميز بها الإسلام على غيره من الديانات، هنالك عوامل أخرى كانت وراء انتشار الإسلام في «كوسوفا»، من بينها الاختلاف المذهبي[٢] بين سكان «كوسوفا» وحكامهم الصرب، فالأولون كانوا على المذهب الأرثوذكسي الذي أجبرهم على التحول إليه من المذهب الكاثوليكي حكامهم الصرب، مع ذلك فهنالك مجموعة منهم قد حافظت على مذهبها الكاثوليكي، وهذه المجموعة الأخيرة عندما ظهر الإسلام في بلاد البلقان كانت أقل حماساً لاعتناقه من المجموعة، التي أجبرت على المذهب الأرثوذكسي[٣]؛ لأن هذه الأخيرة قد اعتنقته على مضض

---

(١) إسماعيل سليمان أحمدي، ص ٤٦؛ أيوب صدقي سلمان، ص ٢٠- ٢١؛ بكر إسماعيل الكوسوفي، العلاقة بين اللغة العربية واللغة الألبانية وأثر ذلك في الدراسات اللغوية، ص ١١- ١٢.

(٢) إسماعيل سليمان أحمدي، ص ٤٦.

(٣) Ali M Basha: Neper gjurmet e islamit – Permbledhje studimesh, analizash, shenimesh historike – kritike, refleksionesh …, Tirane, 2005, fq.: 116

وغصباً عن إرادهّا، ويجدر بالذكر أن نشير هنا إلى وجود طـــائفة ثالثـــة في بلاد البلقان وهي طائفة البوغوميليين[1] التي تنتمي إلى منطقـــة البوســـنة، وهذه الطـــائفة قد دخـــلت في معظمها في الإســـلام للامتيازات الكثيرة التي يتحصل عليها الداخل في الإسلام، ومن بينها المساواة مـــع إخـــوالهم المسلمين في الواجبات والحقوق، بما فيها تقلد الوظائف المختلفة في الدولة، طالما كانوا يتوافرون على شروطها، والانتمـــاء إلى الثقافـــة والحـــضـــارة العثمانية الإســـلامية، التي كانت في أوج عظمتها وقتـــــذاك، وتوظيـــف العثمانيين لفريضة الجهاد في الدفاع عن الأراضـــي البلقانية التي آلت إليهم من خطر الدول النصرانية الأوروبية كالمجر ورومانيا التي أزعجهـــا التقـــدم السريع للعثمانيين في بلاد البلقان وأحست بالخطر، وجيـــشت جيوشـــها للوقوف في وجه العثمانيين، الذين تمكنوا من إيقافها عند حدها، الـــشيء الذي رفع أسهمهم بين ألبان «كوسوفا» ، ودفع مجموعات منهم للدخول في الإسلام[2].

---

(١) البوغوميلية: نشأت لأول مرة في القرن العاشر الميلادي في بلغاريا، وهي تعتقد فـــي وجود إلهين: إله الخير وإله الشر، والأول هو خالق الروحانية أما الثاني فهـــو خـــالق المادية، ولا تعتمد في فكرها ومعتقداتها على الكتب المقدسة. وكانت علاقات معتقديها سيئة مع البابا وإمبراطور النمسا. وكان لهذه الفرقة حضور في كل بلاد البلقان، ويرى بعض المؤرخين أن وجودها ومعارضتها للنظم القائمة والكنيـــسة كـــان واحـــداً مـــن الأسباب التي سهلت عملية انتشار الإسلام بين أتباعهـــا أولاً وبـــين بقيـــة الطوائـــف والشرائح البلقانية والكوسوفية الأخرى بعد ذلك. (هذه المعلومات مستفادة مباشرة مـــن الأستاذ الدكتور: ميلازم كراسنيجي وهو أستاذ مشهور في «كوسوفا»).

(٢) إسماعيل سليمان أحمدي، ص ٤٦؛ رجب بويا، الألبانيون (الأرناؤوط) والإسلام، ص ٤٣.

وعلاوة على ما سبق فإن العثمانيين قد تبنوا سياسة تقوم على الاهتمام بالأمور الحياتية لرعاياهم بتشييد المدارس والمعاهد والكليات والمكتبات العامة والبيمارستانات والمساجد والاهتمام بالعلم والعلماء لتلبية حاجيات ومتطلبات محكوميهم من الخدمات المجانية التي تقدمها هذه المؤسسات، وعلى العناية بالأسرى، وخاصة الصغار منهم، بتربيتهم وتنشئتهم تنشئة إسلامية سليمة ليصبحوا دعاة للإسلام وحماة له وسط إخوانهم وعشيرتهم وأينما حلوا[1]. ومن جانب آخر فقد سلك العثمانيون سياسة حكيمة تجاه رجالات الدين المسيحي بـ«كوسوفا» خاصة وبلاد البلقان بصفة عامة تقوم على احترامهم وتوفير مساحة كبيرة لهم للتحرك وممارسة نشاطاتهم المختلفة، وإعطاء الضمانات والعهود وإصدار المراسيم التي تنص على ذلك والتي من أمثلتها المرسوم الذي أصدره السلطان محمد الثاني المسمى بـ «عهد نامه»[2].

لم تكن العوامل السابقة هي وحدها التي كانت وراء انتشار الإسلام في «كوسوفا» وإنما كانت هناك عوامل أخرى لا تقل عنها أهمية وهي الوسائل التي استعان بها العثمانيون من أجل استقطاب الكوسوفيين للإسلام وتقريبهم منه. ولأهمية هذه العوامل نسلط الضوء عليها واحداً تلو الآخر.

---

(١) إسماعيل سليمان أحمدي، ص ٤٧-٤٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٩.

الوسائل التي استخدمها العثمانيون في نشر الإسلام في «كوسوفا»:

تتعلق تلك الوسائل ببعض الأسباب والأحوال المفضلة لانتقال الإسلام المنظم إلى الأراضي الألبانية[1]، وفيما يأتي أهمها:

أولاً: إقامة حفلات الختان: اهتم العثمانيون بإقامة الحفلات في المناسبات العامة والخاصة باعتبارها وسيلة ناجعة لجذب رعاياهم وجمعهم في مكان معين، وتقديم الوجه الاحتفائي في الإسلام إليهم من أجل استقطابهم، ومن الحفلات التي نالت اهتمامهم حفلات الختان التي كانت ظاهرة جديدة أدخلها العثمانيون في بلاد البلقان، وقد نجحت هذه الحفلات في استقطاب عدد كبير من الكوسوفيين إلى الإسلام[2].

ثانياً: تشجيع المسيحيين على اعتناق الدين الإسلامي: وذلك بإقامة حفلات شعبية عند اعتناق أحدهم الإسلام، ومده بكل ما يعينه على الحياة والاحتفاء به في المساجد[3].

ثالثاً: القدوة الحسنة: حرص العثمانيون على التمسك بالدين الإسلامي وأداء الشعائر الدينية، الشيء الذي أهلهم لنيل إعجاب بعض النصارى وجذبهم إلى الإسلام[4].

(١) Dituria islame, NR. 100, fq.: 55.
(٢) رجب بويا، الألبانيون (الأرناؤط) والإسلام، ص ٤٤.
(٣) المرجع نفسه، ص ٤٤-٤٥؛ وعلي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية...، ص ٧٦.
(٤) علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية ...، ص ٧٦.

رابعاً: إعطاء بعض الامتيازات لمن يعتنق الإسلام: كمنحه الحق في الاحتفاظ بأرضه وممتلكاته وإقطاع الأراضي له إن كان من المؤثرين في قومه إلخ...[1].

خامساً: الرفق بالرقيق والإحسان إليه: كان العثمانيون يتعاملون مع الرقيق من المسيحيين معاملة تتسم باللين، وهذا من حسن إخلاصهم تجاه المبادئ الدينية الإسلامية، بحيث كانوا يعتقوهم إذا تيقنوا من إخلاصهم وولائهم حتى ولو بقوا على دينهم، كما كانوا يتولون رعاية الأرقاء وبصورة خاصة كبار السن منهم حتى بعد العتق، وبفضل حسن معاملة العثمانيين للرقيق النصراني أسلم العديد من الأرقاء[2].

سادساً: تحرير الأسرى النصارى إذا اعتنقوا الإسلام: كان العثمانيون يعتقون أسرى الحرب من النصارى وغيرهم من الملل إذا دخلوا في الإسلام بمحض إرادهم، وقد أسهم هذا الأسلوب في زيادة عدد المسلمين وكثرهم[3].

سابعاً: الاهتمام بحفظ الأمن ومحاربة النعرات القبلية وإيقاف الفتن الطائفية: حرص العثمانيون على تقديم الإسلام بالصورة التي تظهره على حقيقته كدين ينظر إلى معتنقيه نظرة تساوي بينهم في الحقوق والواجبات،

---

(١) رجب بويا، الألبانيون ...، ص ٤٥.

(٢) علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية...، ص ٧٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٧؛ رجب بويا، الألبانيون...، ص ٤٥.

وتغض الطرف عن ماعدا ذلك من انتماءات قبلية وعشائرية وطائفية؛ لأن استبعاد هذه الجوانب من المعادلة السياسية والاجتماعية من شأنه أن يقرب الناس من بعضهم بعضاً ويزيل ما بينهم من أحقاد وضغائن وفوارق اجتماعية ويقرب ما بينهم من مسافات، ويجعل منهم إخوة متحابين في الله، يحتكمون لقانون واحد ويتجهون إلى قبلة واحدة، ويقدسون إلهاً واحداً هو الله سبحانه وتعالى(١).

ثامناً: ابتعاد العثمانيين عن توظيف العنف في الدعوة: شهدت الفترة السابقة لدخول العثمانيين بلاد البلقان صراعاً بين المذاهب الدينية الكنسية في تلك البلاد، وقد تضرر البلقانيون من هذا التنافس والصراع لأن الكنائس الصربية والسلافية... مارست سياسة تقوم على التطهير العرقي للأعراق، التي ترفض الدخول في المسيحية على مذهبها، وقد مهدت هذه السياسات الكنسية الطريق للدعوة الإسلامية، خاصة وأن الدعاة المسلمين العثمانيين قد اشتهروا بالمرونة واللين والحكمة عند تقديمهم دينهم للآخرين(٢).

تاسعاً: إتاحة الإسلام لمعتنقيه إمكانية الاحتفاظ بانتماءاتهم القبلية والجهوية: كانت بلاد البلقان قبل الفتح العثماني لها متوزعة بين عدد من المذاهب والطوائف الدينية، وكان المنتمون لهذه الطوائف النصرانية من

---

(١) Dituria islame: NR. 100, fq.: 56

(٢) Ibid., fq.: 56

البلقانيين ينتسبون إلى الدولة أو المكان أو العنصر الذي تنتسب إليه طائفتهم، فالمنتسبون إلى الطائفة اليونانية يعتبرون يونانيين... إلخ وقد أرادت هذه الطوائف من وراء سياستها هذه قطع الصلة بين البلقانيين وانتماءاتهم القبلية والجهوية... إلخ، أما العثمانيون فبحكم إسلامهم وحرصهم على تبليغ الدعوة للآخرين فقد وفروا مساحة واسعة للعناصر البلقانية التي دخلت في الإسلام للبحث عن أصولها والانتماء إليها وإحياء تراثها، فانتهز الألبانيون هذه الفرصة وأعادوا نسب أنفسهم إلى أصلهم القديم أي الأصل الإيليري[1].

عاشراً: فتح الوظيفة العمومية أمام الجميع: اهتم الإسلام بالمكونين الأساسين للإنسان: المادة والروح، لأجل خلق مجتمع سليم ومعافى. وجاءت نصوصه وتعاليمه في خدمة هذين الجانبين، وانطلاقاً من ذلك قدم الدعاة العثمانيون الإسلام من الناحية النظرية والعملية كدين متوازن يسعى لتلبية جميع حاجيات الإنسان بصورة تتماشى مع تعاليمه، ومن أبرز الوسائل التي تمكن الإنسان من تلبية حاجياته، خاصة المادية، منها العمل، ففتحوا فرصة الالتحاق بالوظيفة العمومية لجميع الألبانيين المسلمين، والترقي فيها إلى أعلى مراتبها وتقلد جميع المناصب عدا منصب السلطان[2].

---

(١) Ibid., fq.: 56

(٢) Ibid., fq.: 56

حادي عشر: عدم المغالاة في الالتزامات المالية على رعاياهم (الاكتفاء بالحد الأدنى في الالتزامات المالية المفروضة): كان أهل البلقان يعيشون حياة ضنكة قبل الفتح الإسلامي لبلادهم لكثرة الالتزامات المالية المفروضة عليهم من قبل الإقطاعيين المسلطين عليهم من قبل الدول الحاكمة لبلادهم، ولم تنج من هذه الالتزامات حتى ممتلكات الكنائس، ولما جاء العثمانيون إلى بلاد البلقان وأخضعوها إلى سلطانهم لم يشترطوا فرض التزامات مالية على رعاياهم البلقانيين؛ لأنهم دعاة وليسوا جباة، وإنما اكتفوا بالحد الأدنى منها لجذب البلقانيين للإسلام، وقد وجدت سياستهم قبولاً من الكوسوفيين لدرجة أن بعضاً من رجال الدين الملتزمين من السياسات الصربية الإقطاعية قد دخلوا في الإسلام[1].

ثاني عشر: تشجيع التجمعات السكنية المختلفة: نقلت الدولة العثمانية أعداداً من النصارى إلى مساكن كانت أعدتها لهم مسبقاً في أحياء خاصة بالمسلمين، لأجل إتاحة الفرصة للنصارى التعرف على الإسلام كنظام للحياة لأجل جذبهم إليه، ولتحقيق الهدف نفسه اختارت مجموعات من القبائل العثمانية المسلمة ووطنتها في مناطق خاصة بالنصارى[2].

---

(١) علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية ...، ص ٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٧.

ثالث عشر: الزواج بالنصرانيات: يعتبر الزواج من النصرانيات من الوسائل الناجحة التي اتبعها العثمانيون في الدعوة للإسلام؛ وذلك لأن الأبناء الذين ينتجون عنه يتبعون إلى دين أبيهم وفقاً لقوانين الشرع الإسلامي التي يستند إليها هذا الزواج، وقد شعرت الكنيسة الكوسوفية بخطورة هذا الزواج على مستقبلها فحرمت النصرانيات المتزوجات بالمسلمين من دخول الكنيسة فكانت ردة فعل بعضهن الدخول في الإسلام دين أزواجهن[1].

رابع عشر: اختيار بعض الدعاة من الكوسوفيين: انتقى العثمانيون مجموعة من الكوسوفين الذين دخلوا في الإسلام وفقهوها في الدين، ثم أوكلوا إليها مهمة الدعوة بين بني جلدتهم؛ لأنها تشترك معهم في اللغة والثقافة، وتتميز عليهم بالإسلام، ولها من الإمكانيات ما يؤهلها لاختيار المدخل المناسب لقلوبهم وعقولهم[2].

خامس عشر: احترام عهودهم ومواثيقهم مع أهل الذمة: التزم العثمانيون بالأسس والضوابط التي وضعها المسلمون لتقديم الإسلام إلى الآخرين منذ عهد الرسول ﷺ. وبالنسبة إلى أهل الذمة فهم الذين اختاروا دفع الجزية، فقد كانت الدولة الإسلامية تمنحهم امتيازات كثيرة وتلزمهم إضافة إلى دفع الجزية الالتزام بسلوك معين تجاه المسلمين وتجاه أنفسهم. وقد

---

(١) المرجع نفسه، ص ٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٧.

أجمل المؤرخ البريطاني «نول مالكولم» هذه الحقوق والواجبات حيث قال:... ولكن المسيحيين واليهود كانوا بصورة عامة يعتبرون رعايا-ذميين، ويعني ذلك أن قانونهم التشريعي يراعى شرعاً بالرغم أنهم خاضعون (مطيعون) للدولة العثمانية، وكان المسيحيون يتمتعون بامتيازات تمنح لهم وهي عبارة عن حقوق قانونية مختلفة مثل: السماح بممارسة حياتهم الدينية، والاحتفاظ بكنائسهم، والاحتكام إلى محاكمهم الدينية، ولكن لم يكن مسموحاً لهم حمل السلاح (وهذا المحظور لم يحترم مطلقاً في الأراضي الألبانية)، ولا ارتداء بعض ملابس المسلمين، وكما كان محرماً عليهم قطعاً سب الدين الإسلامي والمحاولة لتحويل المسلمين من الدين الإسلامي[1].

وعلاوة على ما سبق فقد كان مسموحاً للجمعيات المسيحية المحافظة على أبنية كنائسها، أما في حالة رغبتها في توسيعها فقد كان مطلوباً منها استئذان السلطة المسلمة الحاكمة، وقد كانت هذه الأخيرة في الغالب تسمح لهم بالتوسيع بل تذهب أبعد من ذلك في بعض الأحيان فتسمح لهم ببناء كنائس جديدة[2].

أما الذين يختارون خيار الحرب فإن معاملة العثمانيين لهم تختلف عن الذين اختاروا دفع الجزية.

---

(١) Noel Malcolm: fq.: 112

(٢) Ibid., fq: 112

تقويم المؤرخين لوسائل العثمانيين في نشر الإسلام:

اختلفت وجهـــات نظر المؤرخين المحدثين حول الوسائل التي من خلالها نشر العثمانيون الإسلام في بلاد البلقان عامة و«كوسوفا» بصفة خاصة، وفقاً لاختلاف مشاربـــهم الثقافية ومنطلقاتـــهم الفكرية والدينية، فمنـــهم مـــن انطلق من المعاني التي تحمـــلها كلمة الإسلام نفسها فرأى أن الهدف الأساس للإسلام أينما حل هو تحقيق الأمن والســـلام والاســـتقرار، وأن المـــسلمين العثمـــانيين قد حققوا هذه المعاني في «كوسوفا»، حيث ضمـــدوا الجـــراح ووفروا مناخاً للتعايش الســـلمي بين الأعراق والملل في وقت كانت الكنائس في أوروبا مصدراً لإثارة الفتن الدينية والتسلط والاضطهاد الديني[١].

وهنالك طائفة أخرى رأت أن العثمانيين قد أكرهـــوا الكوســـوفيين ومارسوا عليهم الضغوط من أجل إجبارهم على الدخول في الإســـلام[٢]. ولكن واحداً من الغربيين أنفسهم وهو المؤرخ «توماس آرنولد» قد نظر في ادعاءاتهم هذه فوجد أنها باطلة؛ لأنها تفتقر إلى الأدلة التي تدعمها[٣].

كما أن الدكتور «شريف دلوينا» قد ذكر نقلاً عن المؤرخ «آريستيث كولاي» بأن العثمانيين لم يجبروا أحداً على تغيير دينه بالقوة، وأن الكـــلام

---

(١) Ali M Basha, fq.: 132

(٢) Hysamedin Feraj, fq.: 50.

(٣) Thomas W. Arnold, HISTORIA E PERHAPJES SE ISLAMIT, perkthyer nga boshnjakishtja: Nexhat S. Ibrahimi, Shtepia botuese ``Dituria islame`` - Prishtine, 2004, fq.: 179.

عن تغيير الدين بالعنف لدى الألبانيين هو نتيجة خيالات القسيسين وأوهامهم، ولا يليق بالمؤرخين أن يقبلوا ذلك، ويصف هذا الكلام بأنه كذب ونية سيئة[١]، وأن الألبانيين اعتنقوا الإسلام لأنه يتفق مع طبيعتهم[٢]. وعلاوة على ما سبق فإن العنف لم يكن جزءاً من السياسة العثمانية في «كوسوفا» على الإطلاق ولا في غيرها من بلاد البلقان لإجبار أحد على اعتناق الإسلام، و لم يكن له وجود حتى في المرحلة الأولى من الدعوة العثمانية إلى الإسلام في تلك المناطق[٣].

و لم يستخدم المسلمون العنف في هذا المجال في تاريخهم كله، فالقبائل العربية في عصر الرسول ﷺ دخلت الإسلام بدون أي عنف، وبهذا الشكل بدأ الإسلام واستمر في كل العصور، و لم يجبر العرب أحداً من الإسبانيين على اعتناق الإسلام بالرغم من أنهم حكموهم من القرن الثامن الميلادي إلى القرن الخامس عشر وكثيرون الذين اعتنقوا الإسلام خلال هذه القرون، ولكن حينما رجع الحكم إلى الإسبانيين في عام ٨٩٨هـ/١٤٩٢م فإن الذي لم يرتد ويرجع إلى دينه القديم من الإسبانيين المسلمين قتل، ونجا الذي تمكن من الهرب إلى إفريقيا، ففي هذه الحالة بإمكان كل واحد أن يقول: إن هذا الأسلوب لتغيير الدين عنف فعلاً[٤].

---

(١) Muhidin Ahmeti: fq.: 43, 49

(٢) Ibid., fq.: 49

(٣) بكر إسماعيل الكوسوفي، اللغة العربية وأثرها في اللغة الألبانية، ص ١٣.

(٤) Muhidin Ahmeti: fq.: 51

فلو استخدم العثمانيون الأتراك أساليب العنف لتحقيق أهدافهم — على ما يزعم الجاهلون — لاستطاعوا أن يصلوا إلى تكوين اتحاد كامل، ولكنهم لم يستخدموها؛ لأن الدين الإسلامي لا يحل تلك الأساليب[١]، والدليل على عدم استعمالهم لها خلو المكتبات من بحث علمي تناولها بالدراسة والتمحيص، بل على العكس من ذلك فإن العالم «روبرت ماتراني Robert Matrani» يقول: لم تكن للقيادة العثمانية نية أو خطة للتطهير العرقي للشعوب الخاضعة لها، و لم يكن هناك ضغط ولا إجبار فيما يتعلق بتحويل الناس إلى عثمانيين ولا إلى مسلمين[٢].

و لم يكن العنف الديني سمة متصلة بانتشار الدين الإسلامي لا قديماً ولاحديثاً، وفي تاريخه الذي كادت تمر عليه خمسة عشر قرناً ولحسن الحظ لا يمكن أن يقال بأن العنف كان طريقاً لانتشار هذا الدين الحنيف[٣].

وفي واقع الأمر فإنه لم يمنع أحداً من المسيحيين أو اليهود في «كوسوفا» من ممارسة حياتهم الدينية بل إن الحقوق والحريات الدينية التي تمتع بها غير المسلمين تحت الحكم العثماني لم يكن مسموحاً بها لهم حتى في بلاد المسيحيين نفسها[٤].

ويؤكد هذه الحقيقة د.«شيرو تروهلكا» بقوله: لو انتشر الإسلام بالعنف الحكومي -من قبل العثمانيين- لما وجدت في القرن التاسع عشر مسيحياً واحداً

---

(١) Edwin Jasques: fq.: 241

(٢) Ali M. Basha: fq.: 164

(٣) Ibid., fq.: 165

(٤) بكر إسماعيل الكوسوفي، اللغة العربية وأثرها في اللغة الألبانية، ص ١٣.

ولا كنيسة ولا ديراً في بلاد البلقان، كما يؤكدها المؤرخ «علي بن مقصود» بقوله: إن العثمانيين لو أرادوا أن يجبروا شعوب بلاد البلقان على قبول اللغة والدين لما كنت تجد اليوم مسيحياً واحداً ولا شخصاً يتكلم غير اللغة التركية – العثمانية؛ لأنهم حكموا هذه الشعوب ستة قرون، أي عشرين جيلاً[١].

فالدعاة المسلمون كانوا موجودين في «كوسوفا» ويعملون على نشر الإسلام بالطرق السلمية فيها قبل مجيء العثمانيين إليها، والشاهد على ذلك استقرار أسرة حلبية سورية في قرية «مليك» التابعة لمدينة «دراغاش» الكوسوفية قبل عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م وقد سميت هذه الأسرة باسم «الآغا» وهي التي بنت جامعاً في عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م في هذه القرية السابقة الذكر، ويعتبر هذا المسجد أقدم المساجد في أراضي «كوسوفا» الحالية[٢].

وهناك طائفة من المؤرخين نظرت إلى الجزية التي فرضها العثمانيون المسلمون على الكوسوفيين نظير الحماية التي كانت توفرها الدولة لهم وهي تقابل الزكاة بالنسبة للمسلمين، وكلا الضريبتين تأخذ أحوال الفقراء والمعدومين بعين الاعتبار، كضريبة عالية أراد العثمانيون من خلالها استنزاف الكوسوفيين وإجبارهم على الدخول في الإسلام، لأن الدخول في هذا الأخير يسقطها عنهم[٣].

---

(١) Muhidin Ahmeti, fq.: 121

(٢) Nexhat Ibrahimi: Kontaktet e para te islamit me popujt ballkanik ne periudhen paraosmane, Logos-A, Shkup, 1997, fq.: 55.

(٣) Hysamedin Feraj, fq.: 50

ولكن الدكتور «حسام الدين» يرى بأن هذا الادعاء باطل ويفتقر إلى الدليل، لأن الجزية لا تعتبر عذاباً؛ لأنه كان بإمكانهم دفعها، وهي مفروضة على الذكور فقط، ومن يدفعها كانت الخدمة العسكرية ترفع عنه، وكان هذا الرفع مهماً جداً في ذلك الحين، لأن الأسرة كانت تعتمد على الذكور كثيراً في اكتساب المعيشة، وهذا أهم من دفع الجزية، أما الذهاب إلى الخدمة العسكرية فقد كان صعباً جداً، لأن الذي يذهب إليها ما كان يعرف هل سيرجع أم لا من كثرة الحروب، وإضافة إلى ذلك فإن غير المسلمين كان بإمكانهم أن يختاروا إما الخدمة وإما الجزية، وإمكانية الاختيار توسع الحرية ولا تضيقها[1]. ويسير في هذا الاتجاه نفسه المؤرخ البريطاني «نول مالكولم» الذي يقول: إن الجزية في الدولة العثمانية كانت عبارة عن الغرامة السنوية والمخصوصة لغير المسلمين فقط من النصارى واليهود الذين كانوا يدفعونها للدولة العثمانية الإسلامية، وكانت الجزية مبنية على أحكام القرآن، وهي كانت واجبة على كل رأس رجل بالغ، ولكن رغم ذلك فإن المسلمين كانوا مطلوبين أن يدفعوا صدقة سنوية خاصة لهم ألا وهي «الزكاة»[2]، ولم يدفع الذمي - المسيحي واليهودي - لا الزكاة ولا الصدقة، وكانت المخالفات في المحاكم للدولة العثمانية مضاعفة للمسلمين، أي يدفعها المسلم ضعفا ما يدفعها الذمي، ولم تخطط الدولة العثمانية لتحويل الشعوب

(١) Ibid., fq.: 53

(٢) «الزكاة» هي صدقة مفروضة على كل مسلم في ماله إذا بلغ نصاباً معيناً وحال عليه الحول

الخاضعة لها لأسباب اقتصادية ولا دينية[1]. وكانت هذه السياسة لدى العثمانيين لجميع الشعوب، التي كانت تعيش داخل حدود دولتهم، دون نظر إلى اختلاف لغاتهم وعاداتهم، أي بغير استثناء مطلقاً.

إذن لماذا كانت الجزية اضطهاداً دينياً لدى الألبانيين فقط، و لم تكن عند الشعوب الأخرى؟ وكيف استطاع الألبانيون أن يعيشوا بهذا الاضطهاد وبهذا التطهير العرقي طوال الحكم العثماني، الذي لم يكن أقل من خمسمائة سنة؟ وكيف استطاع الألبانيون أن يحافظوا على تقاليدهم وعاداتهم؟ هناك من يقول: إن الدولة العثمانية كانت متخلفة، فكيف يعقل أن تكون أقوى دولة في العالم وقتذاك متخلفة[2]؟

فهذه الدعاوى باطلة ولا حجة لها، ويضحدها الواقع وقتذاك، فهناك مصدر تركي يقول: إن السلطان محمد الفاتح بعد أن فتح القسطنطينية مباشرة أصدر مرسوماً تعهد بموجبه بضمان الحرية الدينية للمسيحيين داخل نطاق الحكم العثماني، بشرط أن يلتزموا بقوانين الدولة، وهذا يدل على تسامح ديني كبير في الدولة العثمانية[3].

---

(١) Noel Malcolm., fq.: 111

(٢) Hysamedin Feraj., fq.: 58, 59

(٣) Muhamet Ternava: Studime per mesjeten. Peje, 2000, fq.: 120.

المبحث الثاني

إسهامات العثمانيين في «كوسوفا»

أدت فتوحات الدولة العثمانية في بلاد البلقان وبصورة خاصة في مناطق «كوسوفا» الحالية إلى تغييرات جذرية في ظروف سكان أهلها، في جميع الجوانب.

وفي هذا المبحث سوف يتم تسليط الضوء على بعض إسهامات العثمانيين في «كوسوفا» في الفترة موضع الدراسة[1].. وتسهيلاً للعرض والدراسة يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

أولاً: بناء المساجد:

يحتل المسجد مكانة كبيرة في المجتمع الإسلامي، فهو إلى جانب وظيفته الأساسية، كدار للعبادة، مركز للعلم والثقافة والذكر والسياسة، ففيه كانت تنعقد الألوية وتنطلق الغزوات وتعقد الزيجات وتستقبل الوفود ... ونظراً لهذه الأهمية للمسجد فقد أولاه خلفاء بني عثمان اهتماماً خاصاً في كل البلاد التي دخلت تحت حكمهم.

---

(١) هناك إسهامات أخرى قام العثمانيون بإنجازها بعد القرن الخامس عشر الميلادي، ولكن لم أذكرها لأنها خارج حدود البحث.

ففي «كوسوفا» قاموا ببناء كثير من المساجد منها:

١- مسجد «السلطان مراد»:

يعتبر هذا المسجد أقدم المساجد التي بناها العثمانيون وهو بُني ببريشتينا، ويعرف هذا المسجد بين الأهالي اليوم «بجـامع أتـشارشيس Xhamia e çarshisë» أي جامع السوق. بدأ بناء هذا المسجد السلطان مراد الأول في عام ١٣٨٩م واكتمل بناؤه في عهد السلطان محمد الثاني في عام ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م. ويتميز على غيره من المساجد الكوسوفية والمقدونية بكونه مبني على الطراز العربي في فن العمارة[1]، وله منارة رائعة من حيث البناء والتشييد.

٢- مسجد «السلطان محمد الفاتح»:

بنى هذا المسجد السلطان محمد الفاتح في سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦١م في مدينة بريشتينا، واستخدم في بنائه الأحجار وطليت جدرانه وأعمدته وقبته. وهو مربع الشكل يبلغ طوله ثلاثة عشر متراً وثمانين سنتيمتراً وسمكه في المدخل متران وعشرون سنتيمتراً، وأما الجدران الأخرى فسمكها حوالي متر وتسعون سنتيمتراً، وله سبع وثلاثون نافذة ويصل طول منارته

---

(١) Dituria islame: Revistë mujore fetare kulturore shkencore, viti XIX, NR.179, Qershor 2005, fq.: 50, Edukata islame: Revistë shkencore kulturore islame tremujore, Viti XXXV, NR.76, Prishtinë, 2005, fq.:78

إلى مئة وعشرين سلماً، ويوجد حمام كبير بالقرب منه لخدمة عمال المسجد خلال بنائه[١].

٣- مسجد «رمضانية»:

ويسميه عامة الناس بجامع أ لابيت[٢]بنى هذا المسجد الوزير «رمضان تشاؤوش» في سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م في مدينة بريشتينا[٣].

٤- مسجد «بيريناز Pirinaz»:

بني في سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م في مدينة بريشتينا وهو موجود اليوم[٤].

٥- مسجد «يوسف جلبي»:

بني هذا المسجد في مدينة «بريشتينا» في عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م ومايزال موجوداً إلى يومنا هذا ومحافظاً على بنائه القديم[٥].

٦- مسجد «بوزاجي»:

شرع العثمانيون بعد استقرارهم مباشرة في «بريشتينا» في بناء هذا المسجد، واستغرق البناء منهم ليلة واحدة[٦]، ويرجع تاريخ البناء إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي.

---

(١) Dituria islame: NR. 154, fq.: 52, 53

(٢) وقد أحرق هذا المسجد من الداخل في تاريخ ٢٧ مارس ١٩٩٩م من قبل القوات الصربية خلال الحرب الأخيرة في «كوسوفا» .

(٣) Dituria islame: NR. 179. fq.: 54, Edukata islame: NR.76, fq.: 79.

(٤) Ibid., fq.: 54

(٥) Ibid., fq.: 54

(٦) Edukata islame: NR.76, fq.: 78, 79

٧- مسجد «تشارشي جامع[١]»:

هو أول مسجد بناه العثمانيون في مدينة «بييا» ويرجع تاريخ بنائه إلى عام ٨٧٦هـ/١٤٧١م[٢] ومايزال هذا المسجد محافظاً على بنائه وطرازه العثماني القديم.

٨- مسجد «يابلانيتسا أ ماذة[٣] Jabllanica e madhe»:

هو ثاني مسجد بناه العثمانيون في بلدية «بييا» ويرجع تاريخ بنائه إلى عام ٨٩٦هـ/١٤٩٠م[٤].

٩- مسجد «غازي عيسى بك[٥]»:

وهو أول مسجد بناه العثمانيون بمدينة «ميتروويتسا» وذلك في سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م (وأعيد بناؤه بوساطتهم في عام ١١٣٨هـ/١٧٢٥م)[٦].

---

(١) «تشارشي جامع»: يعني بالتركية مسجد السوق. وهو أقدم مسجد بمدينة بييا، كان مصنفاً ضمن المباني الأثرية النادرة وكان تحت حماية الدولة، وخلال الحرب الأخيرة تم إحراقه من الداخل بحيث أدى الإحراق إلى إصابته بأضرار بالغة وبصفة خاصة الأرضية والقبة الرئيسة وكذلك اللوحات الجميلة العتيقة والأعمدة الرخامية. (انظر: المشيخة الإسلامية في «كوسوفا» ، الوحشية الصربية ضد الآثار الإسلامية في «كوسوفا» (فبراير ٩٨ - يونيو ٩٩)، بريشتينا، ٢٠٠٠م.

(٢) Dituria islame: NR.189, fq.: 46

(٣) «يابلانيتسا أ ماذة» المسجد الذي تم تدميره من الداخل وأصيبت المنارة في الجزء الأسفل بالرصاصات والعيارات خلال الحرب الأخيرة في «كوسوفا»، انظر: المشيخة الإسلامية في «كوسوفا» ، ص ١٢٩.

(٤) Ibid., fq.: 46

(٥) مسجد «غازي عيسى بك» من أقدم المساجد في «كوسوفا» وكان تحت حماية الدولة وقد تم تفجير منارته خلال الحرب الأخيرة في «كوسوفا» مما أدى إلى إصابة المسجد بأضرار بالغة وبصورة خاصة سقف المسجد وجدرانه وكذلك انكسرت أبوابه ونوافذه. انظر: المشيخة الإسلامية في «كوسوفا» ، ص: ٤٥.

(٦) Dituria islame: NR. 185, fq.: 54

١٠- مسجد في قرية «ماشيج»:

في مدينة «ميتروويتسا» تم بناؤه في سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م[١].

١١- مسجد غازي علي بك»:

بني في سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م وهو أول مسجد تم بناؤه بوساطة العثمانيين في بلدية «ووشتري» [٢] وأعيد بناؤه مرة أخرى.

١٢- مسجد «الإكرامية»:

بني في عام ٨٤٨هـ/١٤٤٤م بمدينة «ووشتري» وكان يسمى بتشارشى جامع، ثم غير اسمه إلى مسجد الإكرامية[٣].

١٣- مسجد «جامع كارامانلي»:

بناه «كارامان أوغولاري» في مدينة «ووشتري» بعد معركة «كوسوفا» الثانية[٤] التي وقعت أحداثها في سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م.

١٤- مسجد قرية «قرايكوف»[٥]:

هو أول مسجد بني في بلدية «درناس» وذلك في سنة٨٨٥هـ/١٤٨٠م[٦] وهو موجود الآن.

---

(١) Ibid., fq.: 54

(٢) Dituria islame: NR. 186-187, fq.: 55

(٣) Ibid., fq.: 55

(٤) Edukata islame: NR. 76, fq.: 87

(٥) مسجد «قرايكوف» من أقدم المساجد في ناحية «درنيتسا»، ولكن تم إحراقه بالكامل خلال الحرب الأخيرة في «كوسوفا». انظر: المشيخة الإسلامية في «كوسوفا»، ص٨١.

(٦) Dituria islame: NR. 182, fq.: 44

١٥- مسجد «مهمت (محمد) باشا»:

بنى هذا المسجد محمد باشا – فاتح بودابست – في مدينة بريزرن في عام ٩٠٥هـ/١٤٩٩م، وسمي هذا المسجد أيضاً بـ «جامع أ بايراكليس» أي جامع العَلَم، وكانت كل مساجد المدينة تقتدي به في الأذان أي تبدأ الأذان بعد انطلاق أذانه. وبمرور الوقت أضيفت له مدرسة وحمام في الجهة الغربية من جسر المدينة وهنالك كتابات شعرية على جدرانه تحتوي على معلومات تخص تاريخ بناء المسجد وغير ذلك(١).

١٦- مسجد «جامع آرست»:

بنى هذا المسجد يعقوب أورنوس زاده بن أورنوس بك، وهو أحد القواد الذين شاركوا في معركة «كوسوفا» الشهيرة(٢) (٧٩١هـ/١٣٨٩م). ومن خلال المعلومات المتوافرة حول هذا المسجد يترجح عندي أنه قد بني في عهد السلطان بايزيد الأول.

وإلى جانب المساجد السابقة فهنالك ثلاثة مساجد في مدينة «ووشتريا» بُنيت في القرن الخامس عشر الميلادي وهي: «مسجد حاج تيمور خان» و«مسجد حاج علادين» ومكتبة و«مسجد هورن تشاؤوش» في «ووشتري»، وهذه المساجد مسجلة في الدفاتر الخاصة بالقرن السادس

---

(١) Edukata islame: NR. 76, fq.: 81

(٢) Ibid., fq.: 82, 83

عشر الميلادي بأوقافها ولكنها ليست موجودة اليوم، ويبدو أنها قد تعرضت للخراب في الفترة ما بين عامي ١٠٩٥هـ/١٦٨٣ و١١٠٢هـ/١٦٩٠م نتيجة للحرب التي كانت بين العثمانيين والنمسا[1]. ومسجد في «تربشا» وقد بناه «سنان آغا» وهو من أصول ألبانية[2]. ومسجد في مدينة «بريزرن» قام ببنائه الشاعر الألباني «سوزي بريزرناسي Suzi Prizrenasi» وهومن أكبر شعراء الأدب التقليدي (الكلاسيكي) العثماني وذلك في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وهذا المسجد موجود اليوم ووراءه يوجد قبر الشاعر وقبر أخيه «نهاري»[3].

ثانياً: الحمّامات:

وإلى جانب المساجد فقد أولى العثمانيون اهتماماً خاصاً بالحمامات؛ لأنها مرتبطة بالمساجد، فالدخول إلى المسجد وأداء الصلوات المفروضة يفرض على المسلم أن يكون طاهراً نظيفاً في جسمه وثوبه. وتؤكد الآثار الإسلامية العثمانية في «كوسوفا» اهتمام العثمانيين بالحمامات، فهنالك

---

(١) Edukata islame: Revistë shkencore kulturore islame, Viti XXXIV, nr. 75, Prishtinë, 2004, fq.: 68.

(٢) Ibid., fq.: 68.

(٣) Ibid., fq.: 72

حمـــام[1]، عثمـــــاني في مدينـــة بييـــا يعـــود تـــاريخ بنائـــه إلى عـــام ٨٦٧هـــ/١٤٦٢م[2] وقد حظيت الحمامات العثـــمانية بشهرة واســـعة في آسيا وإفريقيا وأوروبا.

وعلاوة على ما سبق فقد كانت للعثمانيين إسهامات أخـــرى كبنـــاء المدارس والشفخانات، إلا أن اهتمامهم بـــهذه الجوانب قد بدأ في بدايـــة القرن السادس عشر، أي بعد الفترة المخصصـــة للبحث، ولذلك لم أتعرض لها بالذكر.

---

(١) كان يعتبر هذا الحمّام حماماً عاماً وكان يعد ذا أهمية خاصة، ومن أقدم الآثـــار فـــي مدينة بييا، وللأسف الشديد قد تم إحراقه وتدميره من قبل القوات الوحشية الـــصربية؛ المشيخة الإسلامية في «كوسوفا»، ص ٩٨.

(٢) المشيخة الإسلامية في «كوسوفا»، ص ٩٨.

المبحث الثالث

القيم العثمانية في «كوسوفا»[1]

جاء العثمانيون إلى «كوسوفا» وهم يحملون همّ الدعوة إلى الرسالة الخاتمة إلى الأرض، رسالة النبي محمد ﷺ، وفي ذاكرتهم أن طريق الدعوة فيها إلى الإسلام وإقامة المؤسسات والبنيات التحتية اللازمة لتمكين المسلمين من أداء شعائرهم الدينية وممارسة أنشطتهم الاجتماعية ليس أمراً سهلاً؛ لأنها كانت تُحكم قبلهم بوساطة الصرب النصارى الأرثوذكسيين، الذين اشتهروا بالتعصب لمذهبهم الديني وثقافتهم الصربية.

جاءوا وفي يدهم خطة عاقلة متبصرة وطموحة لإدارة الدولة وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكومين وإقامة مؤسسات اجتماعية ودينية واقتصادية وسياسية تقوم على تقديم الأهم على المهم وأخذ مشاعر ورغبات أهل البلاد بعين الاعتبار عند الإقدام على أي خطوة من الخطوات عن طريق إشراك أعيانهم ورؤسائهم في الأمر.

---

(١) على الرغم من وجود بعض السلبيات للدولة العثمانية، شأن سائر الدول في العالم، إلا أنه في الفترة الزمنية موضوع الدراسة لم أجد سلبيات تذكر، وأرى أن معظم السلبيات التي تقال حول الدولة العثمانية كانت في العصور المتأخرة .

أدى التزام العثمانيين بالبرنامج السابق إلى تحقيقهم للعديد من النجاحات في الميادين المختلفة، تجاه رعاياهم في «كوسوفا»، ومن أهمها، فيما أرى:

أولاً: نشر الإسلام في «كوسوفا»:

سلكت في معالجة هذا الجانب منهجاً يقوم على إبراز عدد الأسر المسلمة والأسر النصرانية في كل مدينة من المدن – المذكورة في هذا البحث – الكوسوفية على حدة واستعنت في ذلك بالسجلات العثمانية؛ لأنها تتوافر على معلومات مهمة في هذا الجانب فالسجل العثماني الخاص بمدينة «ووشتريا» الذي جمع في عام ٨٩٢هـ/١٤٨٦م و٨٩٣هـ/١٤٨٧م أوضح أن بها ٤٣ بيتاً مسلماً و٣٣ بيتاً نصرانياً وهذا يعني أنها مدينة ذات أغلبية مسلمة(١).

أما مدينة «بريشتينا» فإن سجلها الذي كتب في عامي ٨٩٢هـ/١٤٨٦ و ٨٩٣هـ/١٤٨٧م قد أوضح بأنها مدينة ذات أغلبية نصرانية لأنها تأوي ٥١ بيتاً مسلماً و ٢٤٨ بيتاً نصرانياً(٢).

وأما مدينة «بيبا» فإنها تعتبر من المدن الكوسوفية التي أنجبت رجالاً كان لهم إسهام واضح في مجال الإدارة، فإليها ينسب محمود بك الذي تدرج

---

(١) Muhamet Ternava: fq.: 99

(٢) Skender Rizaj: Kosova gjatë shekujve XV, XVI dhe XVII, fq.: 464

في الإدارة حتى أصبح السنجاك[1] بك الأول لولاية الـدوغاجين في عـام ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م، وهو مؤسس عائلة البغوليين في مدينة بيبا[2].

أما عن تصنيف سكانها وفقاً لإحصائية عام ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م فهي تضم ٣٣ بيتاً مسلماً، وهذا يعني تفوق النصارى عددياً فيها على المسلمين. ولكن زحف الإسلام قد استمر وبخطى أسرع في هذه المدينة والقرى المجاورة لها ومدن وقرى «كوسوفا» الأخرى بعد هذا التاريخ[3].

ثانياً: إشراك الألبانيين في المناصب العليا في الدولة العثمانية:

يعتبر منصب الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) من المناصـب العليـا في الإدارة العثمانية فهو أعلى منصب بعد منصب السلطان، وقد تـولى هـذا المنصب عدد كبير من الألبانيين خلال الحكم العثماني لبلاد البلقان بلغـوا اثنين وأربعين ألبانياً[4].

ثالثاً: إيقاف سياسة التطهير العرقي للألبانيين:

كان الألبانيون عرضة لتطهير العرقي إبان حكم البيزنطيين والـصرب والبلغار واليونانيين لبلادهم ولم تتوقف هذه السياسة اللاإنسانية إلا بعد مجئ الفاتحين العثمانيين المسلمين؛ لأن العثمانيين يحتكمون في أعمالهم كلـها إلى دين – وهو الإسلام – يساوي بين جميع معتنقيه في الحقـوق والواجبـات

---

(١) «سنجاك» تعني ولاية إدارية لدى العثمانيين.

(٢) Skender Rizaj: Kosova gjatë shekujve XV, XVI dhe XVII, fq.: 464

(٣) Ibid., fq.: 464.

(٤) Bajrush Ahmeti: fq.: 174

ويوفر مساحة كبيرة من الحرية لمن فضلوا الاحتفاظ بدينهم والعيش بين المسلمين وفقاً للشروط التي تحددها السلطة المسلمة الحاكمة[1].

رابعاً: نشر ثقافة التسامح الديني:

كانت الدولة العثمانية متسامحة دينياً مع رعاياها من غير المسلمين بالمقارنة مع الدول الأخرى التي حكمت بلاد البلقان، فملك الصرب «استفان دوشان» مثلاً كان يأمر بالعقاب بالحرق بالنار لكل ألباني، ومصادرة بيته وأمواله، أما المسلمون العثمانيون فلا يطلبون ممن أراد الاحتفاظ بدينه سوى الالتزام بدفع الجزية[2].

خامساً: السماح لأهل البلاد الاحتفاظ بلغتهم:

فرضت الأنظمة والدول التي تعاقبت على حكم بلاد البلقان لغتها ودينها، فالبيزنطيون فرضوا ديانتهم (المسيحية) على البلقانيين وثقافتهم اليونانية، أما الصرب فقد فرضوا عليهم مذهبهم الأرثوذكسي النصراني ولغتهم الصربية، أما العثمانيون فلم يعرف عنهم إكراه لأحد على تعلم لغتهم أو الدخول في دينهم وإنما كانوا يتركون له المجال للاحتفاظ بلغته الأم وتعلم غيرها من اللغات التي يراها مفيدة له في دينه ودنياه[3].

---

(١) Hysamedin Feraj: fq.: 51.

(٢) Ibid., fq.: 52.

(٣) Ibid., fq.: 54

سادساً: فتح الطريق أمام الكوسوفيين الألبـان لتقلـد المناصب العليا المدنية والعسكرية في بلادهم:

كانت «كوسوفا» خاضعة للاحتلال الصربي، وتحت هذا الاحتلال حُرم الألبان الكوسوفيون من تقلد الوظائف العليا المدنية والعسكرية ... لأن المحتلين ينظرون إليهم كأناس من الدرجة الثالثة، ولكن أحوال الكوسوفيين قد تحولت إلى الأفضل بعد الفتح العثماني لبلادهم، إذ أصبح بإمكانهم شغل الوظـائف العليا في الدولة، مدنية كانت أم عسكرية، طالما توافروا على شروطها(١).

سابعاً: السماح للألبان الاحتفاظ بالعادات والتقاليد:

التزمت الدولة العثمانية بالمنهج الإسلامي، ذلك المنهج الذي يـسمح للداخلين في الإسلام بممارسة عاداتـهم وتقـاليدهم والاحتفاظ بـها طالما لا يوجد تعارض بينها وبين تعاليم الإسلام(٢).

ثامناً: المساواة بين الجميع أمام القانون:

التزم العثمانيون بعدالة الإسلام، فساووا بين جميـع رعايـاهم أمـام القانون، والتزموا بتطبيق الأحكام الصادرة من القضاء على من ثبتت عليهم الإدانة، حتى ولو كانوا من الأسرة الحاكمة نفسها(٣).

---

(١) Ibid., fq.: 55.

(٢) Ibid., fq.: 55.

(٣) Ibid., fq.: 55, 56.

تاسعاً: عدم تخطيط الدولة العثمانية لتهجير الألبان:

لم تخطط الدولة العثمانية لتهجير الألبان من أوطانهم أثناء حكمها، وإحلال عناصرها التركية مكانهم، كما فعل الصربيون واليونانيون[1] ولكن مع ذلك فهناك من المؤرخين من اتهم العثمانيين بتهجير الألبان من أوطانهم مستندين إلى هجرات بعض الألبان إلى إيطاليا. ولكن في حقيقة الأمر فإن هجرة الألبان إلى إيطاليا لم تبدأ في فترة العثمانين وإنما بدأت منذ فترة الحكم الصربي، والعناصر الألبانية التي هاجرت إلى إيطاليا في زمن العثمانيين لم تهاجر بضغط منهم وإنما هاجرت بمحض إرادتها مدفوعة بدوافع شخصية، منها ما هو اقتصادي ومنها ما هو اجتماعي وشخصي.

عاشراً: توفير أسباب الاستقرار والتطور:

التزم العثمانيون سياسة متعقلة تجاه رعاياهم، حيث لم ينحازوا إلى طائفة ويخصوها بالامتيازات على حساب الطوائف الأخرى، وإنما حاولوا جهدهم المساواة بين الطوائف والشرائح الاجتماعية المختلفة في الحقوق والواجبات[2].

---

(١) Ibid., fq.: 56.

(٢) Ibid., fq.: 57.

الخاتمة

تتكون خاتمة البحث من النتائج والتوصيات، وفيما يلي عرض لذلك:

- نتائج البحث:

أولاً: الموقع الاستراتيجي لـ«كوسوفا» كان سبباً في تعاقب الغزاة عليها:

إن الوقائع التاريخية التي وقعت في أراضي «كوسوفا» الحالية عبر العصور، تكشف للجميع وبوضوح عن أهمية موقع «كوسوفا» بالنسبة إلى بلاد البلقان، فهي بمثابة القلب بالنسبة إليها. فقد تعرضت «كوسوفا» كغيرها من بلاد البلقان إلى غزو واحتلال من الرومان والبيزنطيين والسلاف (الصرب) والبلغار والمقدونيين والعثمانيين، وقد كان لسيطرتهم على «كوسوفا» دور واضح في استقرار حكمهم وتنفيذ سياستهم في بلاد البلقان.

ثانياً: لغة الألبان وأصولهم إيليرية:

بعد الإطلاع على الكتابات، التي استندت على الكشوفات الأثرية، والدراسات التي كتبت حول أصل الألبان ولغتهم، تأكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك بأن الإيليريين هم أقدم الشعوب التي استوطنت «كوسوفا»، وأن لغتهم التي تنتمي إلى عائلة اللغات الهندوأوروبية، هي أصل للغة الألبانية.

ثالثاً: الانتشار المنظم للإسلام في «كوسوفا» كان على يد العثمانيين:

بدأ الإسلام ينتشر في «كوسوفا» منذ العصر العباسي الأول، معتمداً على بعض الجهود الفردية من الدعاة والتجار ورجال الطرق الصوفية. ولكن الانتشار المنظم الذي عم أراضي «كوسوفا» كلها لم يحدث إلا في القرن الخامس عشر الميلادي على يد العثمانيين، وقد اتسم هذا الانتشار بالطوعية، حيث لم يجبر العثمانيون، في الغالب، أحداً للتحول من دينه إلى الإسلام، وإنما بذلوا كل ما في وسعهم لإظهار الإسلام بصورة تجعله جاذباً للآخرين.

رابعاً: اهتمام العثمانيين بالعمارة الإسلامية:

جاء العثمانيون إلى «كوسوفا» كدعاة وفاتحين، مبشرين بدين جديد، ولذلك أولوا العمارة الإسلامية اهتماماً خاصاً، فبنوا عدداً كبيراً من المساجد في مدن ومواقع مختلفة في «كوسوفا»، ليقينهم بأن ترسيخ الإسلام وتوطينه وسط الكوسوفيين لا يمكن أن يتم إلا عبر المساجد،

وتشهد العديد من المساجد الموجودة اليوم في «كوسوفا»، التي يرجع تاريخ بنائها إلى القرن الخامس عشر الميلادي، إلى علو كعب العثمانيين في هذا الجانب.

خامساً: إشراك الكوسوفيين في السلطة.

تعاقب على حكم «كوسوفا» واحتلالها عدد من الشعوب، وكانوا يحرِمون الكوسوفيين المشاركة في إدارة بلادهم، و لم تفتح أمامهم أبواب المشاركة إلا في العهد العثماني، وهذا واضح من وصول عدد من الكوسوفيين إلى منصب الصدر الأعظم، وهو منصب رفيع يوازي اليوم منصب رئيس الوزراء.

سادساً: الدور الاقتصادي لـ«كوسوفا»:

استفاد العثمانيون كثيراً من فتحهم ل«كوسوفا»؛ لأنهم استغلوا المعادن النفيسة - الذهب والفضة - التي كانت تتوافر عليها «كوسوفا» في صناعة العملة، كما استفادوا أيضاً من الخيرات الفلاحية، التي كانت تجود بها الأراضي الكوسوفية، ولكن ما يميز الفترة العثمانية على الفترات السابقة لها، هو إشراك العثمانيين أهالي «كوسوفا» في ريع ما جادت به أرضهم ومعادنهم.

- التوصيات:

إن المراحل التي مر بها إعداد هذا البحث مكنتني من اكتساب خبرات فيما يخص كتابة التاريخ الوطني والقومي، ومن التعرف على الجوانب التي تحتاج إلى مزيد من البحث والعناية فيما يتعلق بتاريخ «كوسوفا» وآثارها، ولفائدة البحث العلمي فإني أجمل هذه الجوانب في شكل توصيات، على النحو الآتي:

- استخدام المراجع المختلفة:

ينبغي على كل باحث في تاريخ أي شعب من شعوب البلقان أن ينوع في مصادره ومراجعه، وألا يكتفي بنوع واحد من المراجع، أي لا يكتفي بما كتب بلغته، وإنما يبحث في المراجع التي كتبت بلغات أخرى أو الكتب التي ترجمت إلى لغته؛ لأن ذلك من شأنه أن يجعل البحث أكثر واقعية وأقرب إلى الحقيقة، لأخذه في الاعتبار وجهات النظر الأخرى في الموضوع.

- الاهتمام بالآثار الكوسوفية:

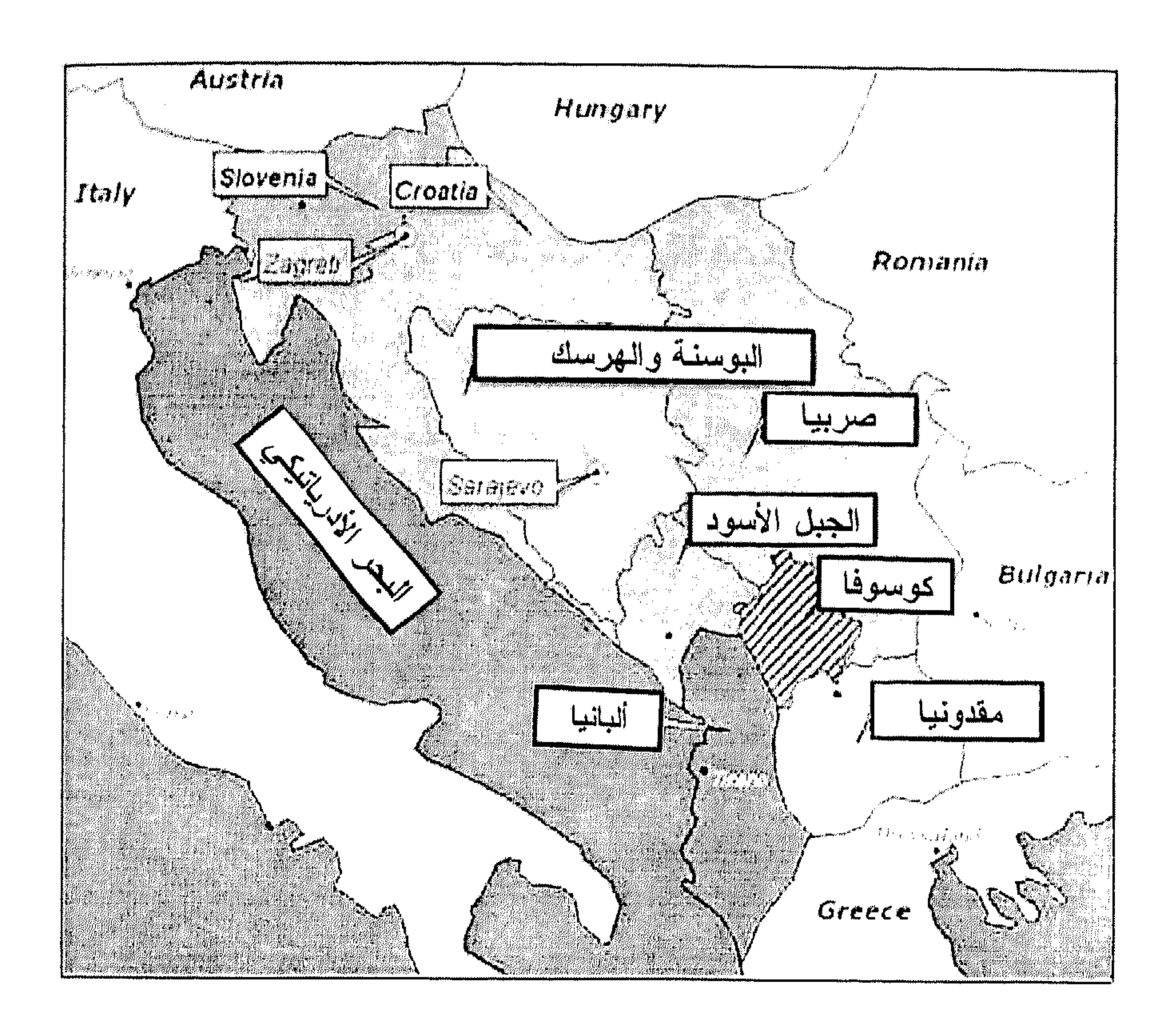
إن توافر «كوسوفا» على المقومات الأساسية للحياة البشرية جعلها منطقة معمورة بالسكان منذ فترة ما قبل التاريخ، وهذا الإعمار ترتب عليه قيام العديد من العمائر، وقد ظلت بعض هذه العمائر قائمة إلى يومنا

هذا، كآثار تدل على تعاقب الدول على «كوسوفا» والمدى الذي وصلت إليه هذه الدول في الجوانب المعمارية والحضارية، وهنالك العديد من الآثار في «كوسوفا» بعضها سابق للفترة الإسلامية وبعضها تابع لها مايزال دفيناً داخل الأرض ينتظر من ينقب عنه ويكشف عنه الستار، ولذلك فإني أوصي بالاهتمام بالحفريات الأثرية في «كوسوفا»؛ لأن من شأن نتائج هذه الحفريات أن تميط اللثام عن كثير من جوانب الغموض في تاريخ «كوسوفا» القديم والوسيط.

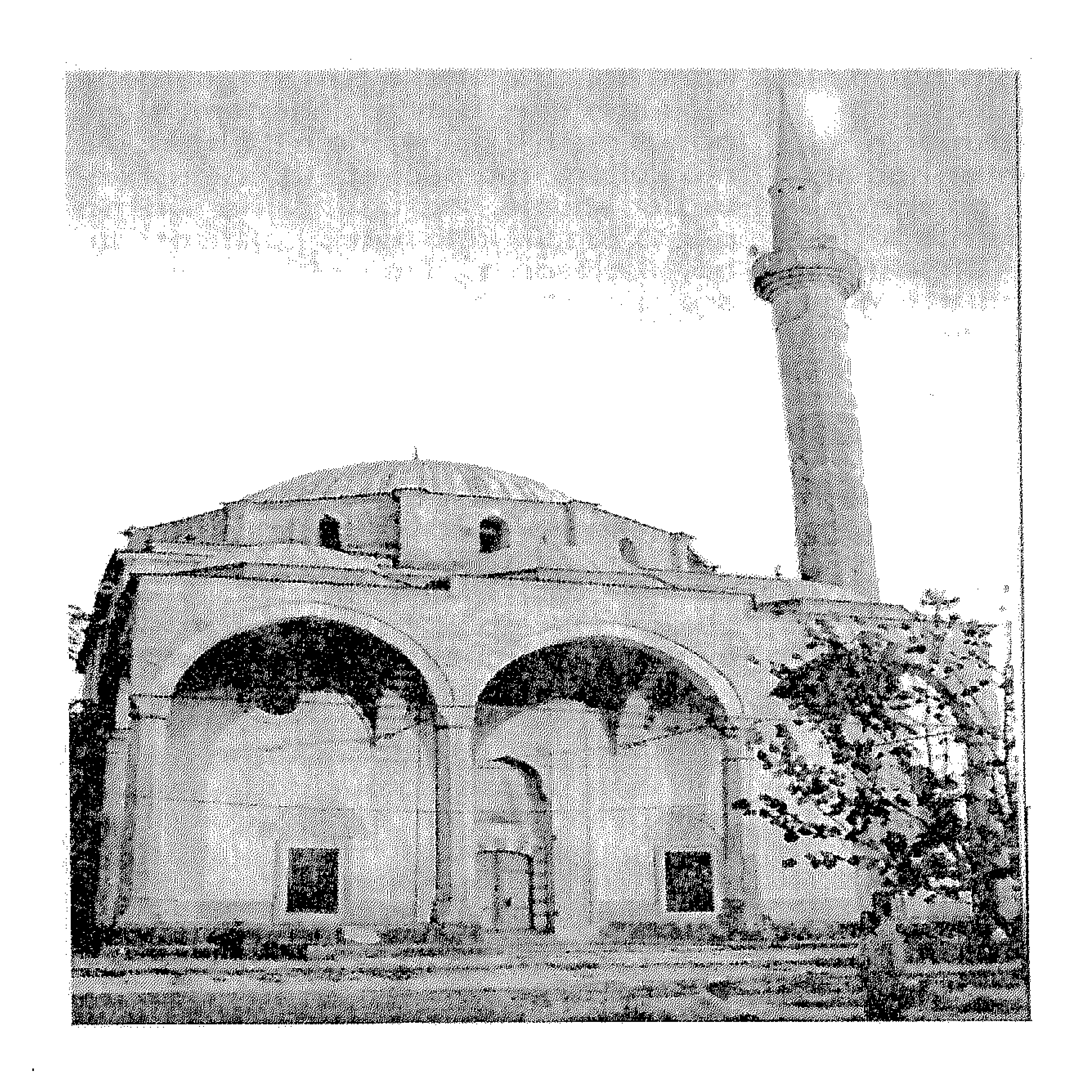
- الاهتمام بالتاريخ العثماني في بلاد البلقان:

أرى أن الدراسات التي كتبت حول الحقبة العثمانية في بلاد البلقان مازالت قليلة وغير شاملة لجميع جوانب الفترة العثمانية البلقانية، كما أن بعض الدراسات التي كتبت حول هذا التاريخ مغرضة وبعضها ناقص ومشوّه للحقائق؛ لأن بعض كتابها يحركهم الحقد والكراهية وبعضهم الآخر إما جاهل بقواعد الكتابة التاريخية أو تنقصه الإمكانيات المادية والمعرفية اللازمة للكتابة التاريخية.

الملاحق:



خريطة الموقع الجغرافي لكوسوفا الحالية.



مسجد السلطان محمد الفاتح:

بنى هذا المسجد السلطان محمد الفاتح في سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦١م في مدينة «بريشتينا»، واستخدم في بنائه الأحجار، وطليت جدرانه وأعمدته وقبته. وهو مربع الشكل يبلغ طوله ثلاثة عشرة متراً وثمانين سنتيمتراً وسمكه في المدخل متران وعشرون سنتيمتراً، وأما الجدران الأخرى فسمكها حوالي متر وتسعين سنتيمتراً، وله سبع وثلاثون نافذة، ويصل طول منارته إلى مئة وعشرين سلماً، ويوجد حمام كبير بالقرب منه لخدمة عمال المسجد خلال بنائه.



مسجد «تشارشى جامع»:

«تشارشى جامع» تعني بالتركية «مسجد السوق». وهو أقدم مسجد بمدينة «بيبا»، كان مصنفاً ضمن المباني الأثرية النادرة، وكان تحت حماية الدولة، وخلال الحرب الأخيرة تم إحراقه من الداخل بحيث أدى الإحراق إلى إصابته بأضرار بالغة، وبصفة خاصة الأرضية والقبة الرئيسة، وكذلك اللوحات الجميلة العتيقة والأعمدة الرخامية.

وهو أول مسجد بناه العثمانيون في مدينة «بيبا»، ويرجع تاريخ بنائه إلى عام ٨٧٦هـ/١٤٧١م، ومايزال هذا المسجد محافظاً على بنائه وطرازه العثماني القديم.



مسجد «قرايكوف»:

من أقدم المساجد في ناحية «درنيتسا»، ولكن تم إحراقه بالكامل خلال الحرب الأخيرة في «كوسوفا».. وهو أول مسجد بني في بلدية «درناس» وذلك في سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

وكـــــلاء التـــوزيــــع

البلد	اسم الوكيل	رقم الهاتف	عنوانه
قطـــــــر	دار الثقافـــــــــــــة دار الثقافة «قسم توزيع الكتاب»	٤٦٢٢١٨٢ ٤٤١٣٤٧١	ص.ب: ٨١٥٠ – الدوحة فاكس: ٤٤٣٦٨٠٠ -بجوار سوق الخير
البحـــرين	مكتبـــــــــــة الآداب	٢٣١٠٦٢ ٢١٠٧٦٨ (المنامة) ٦٨١٢٤٣ (مدينة عيسى)	ص.ب: ٢٨٧ – البحرين فاكس: ٢١٠٧٦٦
الكويـــت	مكتبة دار المنار الإســـلامية	٢٦١٥٠٤٥	ص.ب: ٤٣٠٩٩ حولي شارع المثنى رمز بريدي: ٢٣٠٤٥ فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤
سلطنة عمان	مكتبـــة علـــوم القـــرآن	٧٨٣٥٦٧٧	ص.ب: ١٩٦٠ روي ١١٢ فاكس: ٧٨٣٥٦٨
الأردن	شركة وكالة التوزيع الأردنية	٥٣٥٨٨٥٥	ص.ب: ٣٣٧١ – عمان ١١١٨١ فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣
الـــــيمن	مجموعـــة الجيـــل الجديـــد	٧٨٠٤٠-٧١٣٦٣ ٢٧٠٣٨ -٧٥٨١١	ص.ب: ٥٤٤ – صنعاء فاكس: ٢١٣١٦٣
الـــسودان	دار الريـــان للثقافـــة والنـــشر والتوزيع	٤٦٦٣٥٧	ص.ب: ١١١٦٦ – الخرطوم فاكس: ٤٦٦٩٥١
مـــــصر	دار السلام للطباعـــة والنـــشر والتوزيـــــع والترجمـــــة	٢٧٤١٥٧٨ ٢٧٠٤٢٨٠ ٥٩٣٢٨٢٠	ص.ب: ١٦١ غورية ١٢٠ ش الأزهر – القاهرة فاكس: ٢٧٤١٧٥٠
المغـــــرب	مكتبة منار العرفان للنشر والتوزيع	٧٣٣٣٢٩	نهج موناستير رقم ١٦ – الرباط
الجزائـــــر	دار الوعي للنـــشر والتوزيـــع	٠٢١٣١٧٠١٣٦٤٦ ٠٢١٣٥٤٥١١٠١٥	القطعة رقم ١٤٢ ب حي الثانوية – الروبة –الجزائر
إنكلتـــــرا	دار الرعايـــــة الإســـلامية	(01) 272-5170/ 263-3071	Muslim welfare House, 233, Seven Sisters Road, London N4 2DA. Fax: (071) 2812687 Registered Charity No:271680

ثمن النسخة

الأردن	(٧٠٠) فلس
الإمارات	(٥) دراهم
البحرين	(٥٠٠) فلس
تونس	دينار واحد
السعودية	(٥) ريالات
السودان	(٥٠) قرشاً
عمان	(٥٠٠) بيسة
قطر	(٥) ريالات
الكويت	(٥٠٠) فلس
مصر	(٦) جنيهات
المغرب	(١٠) دراهم
الجزائر	(١٢٠) ديناراً
اليمن	(٤٠) ريالاً

* الأمريكتان وأوروبا وأستراليا وباقي دول آسيا وأفريقيا: دولار أمريكي ونصف، أو ما يعادله.

وقفية الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني
للمعلومات والدراسات

هاتف: ٤٤٤٧٣٠٠

فاكس: ٤٤٤٧٠٢٢

برقياً: الأمة - الدوحة

ص.ب: ٨٩٣ - الدوحة - قطر

موقعنا على الإنترنت:
www.Islam.gov.qa

البريد الإلكتروني: E.Mail
M_Dirasat@Islam.gov.qa

وقفية الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني

للمعلومات والدراسات

جائزة الشيخ

علي بن عبد الله آل ثاني

للعلوم الشرعية والفكر الإسلامي

إسهامًا في تشجيع البحث العلمي والارتقاء الثقافي

الفكري، والسعي إلى تكوين جيل من العلماء،

تطرح موضوعها لعام ٢٠٠٧م

«حقوق الإنسان مقاصد الشريعة»

المحاور:

*** مدخل: مصطلحات ومفاهيم:**

مقاصد الشريعة؛ الحق؛ الواجب؛ الحق الإلهي؛ الحق الطبيعي؛ الحق المكتسب؛ الحريات الأساسية؛ الحرية؛ المسؤولية؛ التحيز؛ التمييز؛ العنصرية؛ حقوق الله وحقوق الناس.

* المحور الشرعي والثقافي:

منشأ حقوق الإنسان (لمحة تاريخية)؛ مصادرها؛ مقوماتها؛ الحقوق بين القيم الأخلاقية والقانون الملزم؛ جدلية العلاقة بين: مقاصد الشريعة، وحقوق الإنسان، والعقوبات (الحدية)؛ حقوق الإنسان: حقوق وواجبات معاً؛ حقوق الإنسان بين الفلسفة والعقيدة والسياسة.

* المحور السياسي:

مسوغات الاعتداء على حقوق الإنسان(قوانين مكافحة الإرهاب والطوارئ...)؛ الحقوق بين الأنظمة الشمولية والأنظمة الليبرالية والنظام الإسلامي؛ أزمة حقوق الإنسان(الأسباب والنتائج)؛ دور العقد الاجتماعي بين المواطن والسلطة؛ فاعلية الميثاق العالمي لحقوق الإنسان؛ دور منظمات حقوق الإنسان في الواقع السياسي؛ الرقابة العامة ونظام الحسبة في الإسلام.

* المحور الاقتصادي والاجتماعي:

أهمية الأمن الغذائي في بناء حقوق الإنسان؛ حق المواطنة (غير المسلمين في المجتمع المسلم؛ المسلم في المجتمع غير الإسلامي)؛ الأمن الاجتماعي (الاستئثار بالثروة وآثارها)؛ التمييز العنصري والسلم الأهلي؛ دور مؤسسات المجتمع المدني.

* المحور التربوي:

العولمة وتنميط الإنسان وانتهاك الخصوصيات الثقافية؛ المعرفة حق إنساني؛ مخاطر احتكار العلم؛ وجهة الإنتاج العلمي والهيمنة السياسية والعسكرية؛ المعرفة بين الارتقاء بأدوات الإنسان والارتقاء بخصائصه؛ التوازن بين الحقوق والواجبات؛ بناء إنسان الواجب؛ ضمانات حقوق الإنسان ومؤيداتها.

* رؤية مستقبلية:

في التأسيس لحقوق الإنسان وتفعيلها.

قيمة الجائزة (١٧٥) ألف ريال قطري.

آخر موعد لاستلام البحوث حزيران (يونيو) ٢٠٠٩م

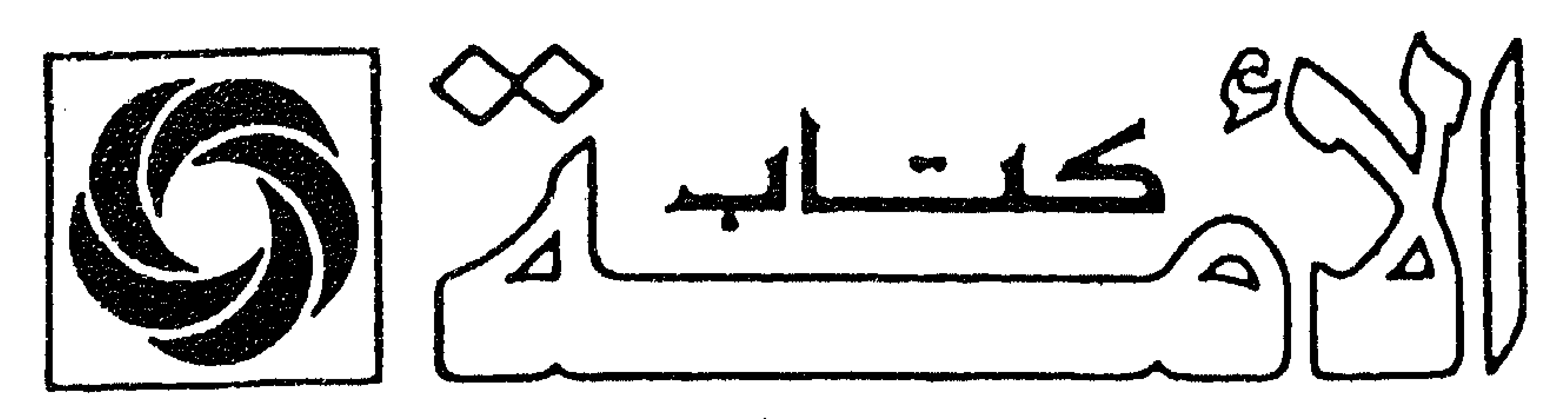
* ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي:

ص.ب: ٨٩٣ — الدوحة — قطر

لمزيد من الاستفسار حول الشروط، يمكن الاتصال على :

هاتف: ٤٤٤٧٣٠٠ — ٤٣٠٩١٠١(٩٧٤+)- فاكس:٤٤٤٧٠٢٢

البريد الإلكتروني: E. Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa



سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وقفية الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني للمعلومات و...
ص.ب: ٨٩٣ الدوحة - قطر

من شروط النشر في السلسلة

- أن يهتم البحث بمعالجة قضايا الحياة المعاصرة، ومشكلاتها ويسهم بالتحصين الثقافي، وتحقيق الشهود الحضاري وترشيد الأمة، في ضوء القيم الإسلامية.
- أن يتسم بالأصالة، والإحاطة، والموضوعية، والمنهجية.
- أن يشكل إضافة جديدة، وألا يكون سبق نشره.
- أن يُوثق علميًا، بذكر المصادر، والمراجع، التي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنية، وأسماء السور، وتخريج الأحاديث.
- أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي، والسياسي ويؤكد على عوامل الوحدة والاتفاق.
- يفضل إرسال صورة عن البحث، لأن المشروعات التي ترسل لا تعاد، ولا تسترد، سواء اعتمدت أم لم تعتمد.
- ترسل السيرة الذاتية لصاحب البحث.
- تقدم مكافأة مالية مناسبة.

هذا الكتاب.. يشكل نافذة أمينة تمكِّن من الإطلالة على انتشار الإسلام في دول البلقان بشكل عام، وفي إقليم «كوسوفا» بشكل خاص، ويبين الظروف التي رافقت هذا الانتشار والمعاناة التاريخية الشديدة التي عاشها المسلمون الألبان والتي دفعت بهم للخروج هروباً.. فهو في أصله رسالة علمية، نال الباحث بها درجة الماجستير.

لقد وجد الألبان أنفسهم وتوفر كرامتهم واسترداد إنسانيتهم بالإسلام، وتمتعوا في رحاب الدولة العثمانية بحقوق الأخوة الإسلامية، حيث تبوأ فيها اثنان وأربعون منصب الصدر الأعظم (رئيس وزراء).

وتأتي أهمية الكتاب من أنه يبرز تاريخ هذه الحاضرة من حواضر العالم الإسلامي، التي تكاد تكون غائبة عن ثقافة الجيل اليوم، بكل ما تحمل من دلالات، وتعرِّف مسلم اليوم، حيثما كان، بالتاريخ والواقع، لعل ذلك يبصره بالأخطار وبالطريق والوسيلة الأجدى لحمل خير الإسلام للبشرية ورحمته للناس.

وكنا نود أن يتسع زمن الرسالة بحيث يتجاوز المؤلف مرحلة البحث في عوامل التشكل، التي مكنت للإسلام من الاستقرار والاستمرار والانتشار في بلاد البلقان، إلى شيء ... الحال، بحيث يبحث في عوامل وأسباب استقلال إقليم «كوسوفا» وما سبقه من ... والتعصب الديني والتطهير العرقي والاغتصاب الجماعي.

إن الظلم والاضطهاد واستلاب حرية الاختيار والاعتقاد والتعصب الديني ... لاعتناق الإسلام؛ والتصفية الجسدية والتعصب والتطهير العرقي، هي التي دفعت ... الانفصال أو الاستقلال، خشية تحول الإقليم إلى مقابر للناس وهم أحياء.

موقعنا على الإنترنت : www.Islam.gov.qa
البريد الإلكتروني: E. Mail:M_Dirasat@Islam.gov.qa